أبادِيد

مجموعة تكوين المتحدة
للطباعة والنشر و التوزيع

جدة - حي مشرفة - شارع التضامن العربي
info@tkween.net.sa
tkween.net.sa
00966557772038

أبادِيد

أ. د. زكريا محمد هيبة

الطبعة الأولى

1443هـ 2022م

إهداء

إلى روح والدي ووالدتي، تغمدهما الله بواسع رحمته

الفهرس

على رأس السرير: 9
وقائع المؤتمر:..... 17
الجلسة الافتتاحية: 19
الجلسة الأولى: 34
الجلسة الثانية: 102
الجلسة الثالثة: التوصيات: 133
المؤتمر الصحفي: 134
المؤتمر الثاني للإنسانية..... 138
اليوم الأول: 138
اليوم الثاني: 155
اليوم الثالث: 159
اليوم الرابع: 171
اليوم الخامس: 182
اليوم السادس: التوصيات: 183
اليوم السابع يوم الوداع: 189
كتب للمؤلف 193

- الاسم: عباس بدران المزين
- السن: 60 سنة
- العمل: كاتب ومفكر
- الزوجة: رجاء بكّار
- العمر: 55 سنة
- الأولاد: مازن، وسحر

على رأس السرير:

لزجة، لزجة!!!

بهذه الكلمات استيقظ الأستاذ عباس من نومه، وزوجته رجاء على رأس السرير تردد: خير يا عباس! فيه إيه؟ مال وجهك كأنه ساحة معركة، ومين هي اللي لزجة لزجة دي يا حبيبي؟

كانت رجاء تعرف أن أكثر شيء يعكر مِزاج زوجها ألا يأخذ حقة كاملًا من النوم، قد يتهاون في أمور المأكل والمشرب، لكن حصته من النوم لو نقصت دقائق عن الساعات الثماني فإن مِزاجه يصير حبريًا لمدة طويلة، ويحتاج حتى يصفو لساعات قد تأخذ نصف يومه.

لذا، كان أول ما قالته: انت نمت كويس؟

- لقد "نمت ملئ جفوني عن شواردها" كما ينام عمنا المتنبي!

- إذًا، قد يكون هذا الحوار البارد ليلة أمس مع هذا الكائن اللزج الملقب بالبروفسور، والذي يتصور في طُرفه المكررة التي يعيدها على مسامعك للمرة رقم 7592 بأنها ستلقيك على قفاك من شدة الضحك؛ هي سبب ما أنت فيه.
- لا، لا، فقد اعتدت هذا منه، ولطالما انشغلت بعمل موازٍ وأنا أحادثة هاتفيًا في حواره الماراثوني!
- أظن أنه قد يكون بسبب النوم بعد سماعك نشرة الأخبار، والحديث بأن قضية السلام في الشرق الأوسط وصلت إلى طريق مسدود!
- ومتى كان الطريق مفتوحًا -يا امرأة- حتى يُسد بين الأطراف جميعها؟ ثم إن "سلام الشرق الأوسط" قضية معلقة، لا حكم فيها، قائمة منذ ولدتُ، وستظل حتى أموتُ، إلى أن أُبعث حيًا.
- أها، لقد بدأت أبحث أعمق وأبعد حتى أمسكت بتلابيب الأمر (حلوة تلابيب دي عباس؟)

- تطور لافت يا رجاء، لكن هل تعرفين معنى تلابيب، وما مفردها؟
- وأنا فاضية للحاجات دي يا أخويا! أنا سمعتك بتقولها كتير.
- التلابيب يا رجاء جمع تلبيب أي طوق الثياب؛ أفهمتِ؟
- أيوه يا أخويا، فهمت.
- وما هو التلبيب الذي أمسكتِ به.
- إنه الانبعاث الحراري وخطورته على كوكب الأرض! ذاك المقال المرعب الذي قرأتَه بالأمس، انت يا حبة عيني طول الغداء وانت تشرح للعيال خطورة الوضع على الكرة الأرضية.
- ها ها ها!!! لا كوكب الأرض، ولا كوكب الشرق! هل أصبحتُ مديرًا للكرة الأرضية، حتى أصحو من نومي فزعًا بهذا الشكل؟!

- إذًا، لم يبق إلا أمر واحد هو الذي فعل بك ما فعل، أظنه يرجع إلى ما سمعته من أن الكافيار في طريقه للانقراض؟!
- كافيار!! كافيار يا رجاء!! وماذا يعني الكافيار بالنسبة لي؟ و"أنا الذي ما ذقتُ لحم الضان" سواء بسواء مثل شاعرنا الجنوبي أمل دنقل.
- يا أخويا أنا احترت معاك، ومش فاضية، عندي شغل كتير.
- شغل؟ هل ستحلين مشكلة الشرق الأوسط؟ أم ستثبتين نسب المتنبي؟ أم. ..
- يا أخويا أنا سبت ده لك، أنا البيت مكركب ومحتاج ترتيب، والمطبخ محتاج ستات العمارة كلهم علشان ينظف، والحمّام...
- خلاص، خلاص يا رجاء. أنا شفت حلم فظيع يا رجاء، فظيع.

- خيـر، اللهـم اجعلـه خيـر، جلسـت رجـاء علـى طـرف السـرير وأخـذ تدلـك لعبـاس رجلـه، فيـه إيـه يـا أخويـا؟ خضتنـي!
- رجاء يا رجاء لا تقاطعيني، رجاء.
- طيب مش هقاطعك يا سي عباس. بس اتكلم.
- رأيـت جمعًـا كبيـرًا مـن عظمـاء العالـم، عظمـاء التاريـخ في القديـم والحديـث، مـن عهـد مـا قبـل الميـلاد، وحتـى عصرنـا هـذا.
- وده شـيء يزعجـك بهـذا الشـكل يـا سـي عبـاس، دا انـت كنـت بتحلـم تقعـد مـع واحـد مـن هـؤلاء ولـو لدقائـق، وكان كتـاب مـن كتبـه أو مقولـة مـن مقولاتـه تفضـل طـول اليـوم تتغـزل فيهـا أكثـر مـا بتتغـزل في عيـوني! فمـا بالـك وانـت بتقـول جمـع! المهـم يـا عبوسـي يكـون جمـع مذكـر، مـش جمـع مؤنـث. هـا. هـا. هـا.

- يا رجاء أرجوك، الأمر جلل، ومش وقت هزار خالص، باقلك كبار الفلاسفة والمفكرين والشعراء والأدباء والفقهاء؛ كلهم كلهم في مكان واحد.
- طيب يا أخويا، وإيه المشكلة في كده؟!
- إيه المشكلة؟ فعلًا، تفكيرك مشدود للأمعاء! المشكلة إن اجتماع اثنين فقط من هؤلاء في مكان واحد يمكن أن يسبب الحرب العالمية الثالثة، فما بالك بجمووووووع.
- للدرجة دي!
- وأكثر وأكثر، هل تتصوري هتلر وتشرشل، في مكان واحد؟ أو العقاد والرافعي -هذا الذي كان يشويه على السفود- وجهًا لوجه؟ أو سيمون دي بوفوار والشيخ محمد رشيد رضا على طاولة واحدة؟
- وماله يا أخويا! إيه اللي يمنع؟
- ما يمنع إنهم عكس بعض، ضد بعض، واحد يمين والثاني يسار.

- قصدك واحد على السُنّة والتاني شمال يعني، يعني ماشيه بطّال؟
- قلت لك يا رجاء لا تقاطعيني، رجاء، رجاء.
- يا أخويا انت اللي بتسألني، أهه، -ووضعت يدها على فمها-، مش هنطق بكلمة.
- حدجها بعينه، ثم قال: المشكلة إن هذه التشكيلة الغريبة حين تجتمع في مكان واحد تحدث الكارثة، والكارثة كانت إني كنت من يدير جلسة الحوار، تصوري يا أم مازن.
- أول ما قال يا أم مازن انفرجت أسارير وجهها، ثم قالت: أدّها وأدود يا أبو مازن (أبا مازن)، انت طول عمرك بتحلم لو كنت في عصر هذا أو ذاك كنت هتسأله في أمور كتيييير مُعضلات. ها. ها. ها. حلو معضلات دي يا سي عباس، ديمًا تقولها لي وللعيال. يعني إيه يا أخويا معضلات؟

- مش وقته خالص يا رجاء. المشكلة: إن كل واحد منهم له وجهة نظر، ويظن نفسه على صواب والآخرين على خطأ.
- طيب احكي لي بالضبط وانا كلى آذان سامعة، زي ما بتقول.
- اسمها آذان صاغية.
- طيب سامعة زي صاغية، كلي آذان صاغية.

وقائع المؤتمر:

قاعة واسعة في مساحة ملعب كرة قدم، وطاولة كبرى لا يكاد يرى الجلوس في الأطراف بعضهم البعض إلا من خلال شاشة كبرى معلقة في الأعلى.

عظماء كثر مثل: الغزالي، وسارتر، وفرويد، والعقاد، وطه حسين، وأنيس منصور، وهتلر، ونيرون، ورشيد رضا، وتشرشل، وسقراط، وأرسطو، وأفلاطون، وأينشتاين، والمتنبي، والمعري، والخنساء، وأم كلثوم، وأحمد شوقي، وسبنسر، وغاندي، وبرنارد شو وغيرهم الكثير والكثير من العظماء الأقدمين. وجمع لا يقل كثرة من المفكرين والأدباء والعلماء المعاصرين من أمثال: الدكتور المسيري، والدكتور عبد السلام نوير، وروجر كوهين وأحمد فؤاد نجم، ونزار قباني.... بالإضافة إلى أغنى أغنياء العالم أمثال: جيف بيزوس، أمانسيو أورتيغا، ووارن باف، وبرنار أرنو جميعهم في تلك القاعة.

كان شعار الملتقى ((معًا نستطيع)) على شكل نجمة خماسية بألوان خمسة هي: الأحمر، الأسود، الأزرق، الأخضر، والأصفر وخلفها خلفية بيضاء، يرمز كل لون إلى قارة: فالأحمر يرمز لأمريكا، والأسود أفريقيا، والأزرق أوروبا، والأخضر أستراليا، والأصفر آسيا.

الجلسة الافتتاحية:

بدأت مراسم الجلسة بعزف موسيقي يقوده «لودفيج فان بيتهوفن»، ثم بدأ الحضور بترديد نشيد الإنسانية:

هبطتُ الأرض عريانًا

وأنت هبطتَ عريانا

فما مُلّكت من دوني

بها حقلًا وبستانا

ولم أُولد بمتربتي

وتولد أنت ملآنا

فقد سميتُ إنسانا

كما سميتَ إنسانا

خُلقنا لم تكن ملكًا

ولا أنا كنت شيطانا

فقد سميتُ إنسانًا

كما سميتَ إنسانا

كانت البداية مبشّرة، والحماس يأخذ الجميع، والابتسامات تكسو الوجوه، وكيف لا، والجميع جاء بهدف واحد نبيل مفاده؛ تقديم ما يمكن تقديمه لخدمة الإنسانية.

رفع الشيخ «محمد رشيد رضا» صوته عاليًا قبل أن تبدأ الجلسة بالقول: ليكن شعارنا يا سادة ذاك الشعار الذي رفعته على مجلة المنار «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه».

استحسن الجميع هذا الشعار الجميل والذي يليق بهذه الكوكبة من نخبة الكرة الأرضية.

قلت يا سادة: محدثكم عباس بدران المزين، كاتب ومفكر في العصر الحديث.

فصدرت همهمة من الأستاذ «العقاد»: «مزين» يدير جلسة على هذا المستوى!!!

ابتلعت تعليقه السمج هذا، وكيف لا، ولم يسلم من لسانه أحد قبلي، حتى ملك البلاد، فهل يمكن أن ننسى

ما قاله في البرلمان عام 1930 بعد استقالة حكومة النحاس باشا ((اليوم في البلاد حكومة دستورية تطلب صيانة الدستور فتوضع في طريقها العراقيل والعقبات والحشرات التي لا تعيش إلا من دماء الأمة، فماذا تنتظر بعد هذا؟ هل هناك شك في أنه من الواجب أن يصان الدستور؟ ألا ليعلم الجميع أن هذا المجلس مستعد أن يسحق أكبر رأس في البلاد في سبيل صيانة الدستور وحمايته))، وكان يقصد بأكبر رأس في البلاد الملك ((فؤاد))؛ الأمر الذي مهّد لاعتقاله بتهمة العيب في الذات الملكية، ومن ثم لبث في السجن تسعة شهور.

وتذكرت هذا المقال الذي كتبه عنه تلميذه الأثير ((أنيس منصور)) بعنوان ((عباس محمود العضاض)) بالفعل أنت رجل عضاض، وقنا الله شر أنيابك في تلك الجلسة.

ثم تابعتُ حديثي بشيء يكسر حاجز الجليد، ويزيل سماجة العقاد، فقلتُ: لكل إنسان من اسمه نصيب، فلا تظنوا أنني عبوس -ثم أرسلت نظرة سريعة للعقاد، فهو الآخر عبّاس، غير أنه دائم التجهم- فقد سماني والدي عباسًا

حبًا في الخديوي عباس حلمي الثاني، ذاك الرجل الوطني الذي تحدى المندوب السامي البريطاني اللورد كرومر، وكانت له مكانة كبيرة في قلوب المصريين. أما «بدران» فهي مثنى بدر، وحسبك بهذا فخرًا يرتجى. وبالنسبة لل «المزين» لقب العائلة؛ فليس نسبة إلى الحلاق، أو الكوافير كما يعتقد البعض، وإنما نسبة إلى المزخرف، أي أن جدنا الأكبر كان فنانًا، وهذا من أكبر دواعي الفخر في العائلة، أن يكون الجد الأكبر من النخبة، مِلح البلد.

الحضور الكرام؛ جميعكم بلا استثناء «تأتم الهداة بهم» وكل واحد فيكم « كَأَنَّهُ عَلَمٌ في رَأسِهِ نارُ ».

وقبل أن أُنهي العبارة، وجدت إشعار بمداخله، وظهر على الشاشة صورة امرأة بدوية، أظنها أصلب من العقاد الذي نجوت من عضته قبل قليل، وقد طلبتْ المداخلة.

مداخله ولم أنته بعد من ترتيب إجراءات الحوار! لكن ماذا أصنع؟ لا أملك إلا أن أستجيب، وبأسلوب مهذب، وإلا فما معنى مفكر عصري؟!

عرّفتْ المتحدثة بنفسها: معكم تَماضُر بنت عُمَرُو بن الْحَارِث السَّلَمِيَّة، الشهيرة بالْخَنْسَاء؛ وجميعكم يعرف أنني أم عمرو تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، وهو عمرو بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. من آل الشريد من سادات وأشراف العرب وملوك قبيلة بني سليم في الجاهلية.

قلتُ: تفضلي أيتها الشاعرة المخضرمة (أي أدركت الجاهلية والإسلام) فقد أجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبلك ولا بعدك أشعر منك. وشهادة النابغة الذبياني فيك بقوله: «أنت أشعر من كل ذات ثديين. ولولا أن هذا الأعمى (كنية الأعشى الأكبر) - أبا بصير - سبقك لقلت إنك أشعر الجن والإنس» أقول إن هذه الشهادة أعلى كعبًا من دكتوراه فخرية من جامعة السوربون.

قالت بإباء: فوق شهادة النابغة الذبياني قول النبي محمد ﷺ: ((أشعر الناس الخنساء بنت عمرو))، وكنت أنشد الشعر في مجلسه ﷺ فيقول: ((هيه يا خناس!، ويومي بيده)). لكن ما أود الإشارة إليه أنك بدأت حديثك باقتباس لبيت من أشهر أبياتي، ذاك الذي قلتُه في قرة عيني، أخي صخر.

- قلتُ: معلوم قائله يا شاعرة الشاعرات.
- بل شاعرة الشعراء ذكورًا وإناثًا.
- نعم، نعم.
- إذًا، لماذا لم تنسب القول لصاحبه؟ أفي سوربونكم (جامعة السوربون) التي تمنح شهادات الدكتوراه الفخرية يجوز لكم تبني بنات أفكار الآخرين دون نسبها؟ إن هذا هو الانتحال الحقيقي!
- رأيت الدكتور ((طه حسين)) وقد تململ في مكانه، فلفت انتباهي إلى ما قالت الخنساء: ((سوربون، وانتحال حقيقي))!!! أتُراها تقصد الدكتور طه، هذا السوربوني الأصيل، وتقصد بالانتحال قضية انتحال

في الشعر الجاهلي" تلك التي اشتهر به د. طه؟ ربما. لكنني على كل حال قلت: كلا كلا، إن هذا الأمر يُعد سرقة علمية، لابد أن ننسب الأقوال لقائليها؛ ضمانًا لحقوق الملكية الفكرية، فحقك محفوظ شاعرة الشعراء. لكن كل ما في الأمر، أن البيت طار كل مطار، وصار معروفًا للقاصي والداني، أن قائلته الشاعرة الكبيرة الخنساء، ثم ختمت قولي "وهل يخفى القمر؟ لا يخفى القمر".

فقام رجل بهي الطلعة، يلبس عباءة مزهوًا بنفسه، فالتفت الحضور إليه، فقلت من؟

- قال: ألا تعرفني؟ أنا القمر!
- القاعة مليئة بالأقمار والكواكب، الجميع نجوم الدجى يا سيدي، فأي قمر أنت؟ ومن أي مجموعة شمسية تنتمي؟
- كان عليك أن تعرفني دون أن أُعرّف نفسي، فقد قالوا عني "وهل يخفى القمر؟" وقد كررت أنت الآخر

قولي! فكيف تنقل عني ولا تعرفني؟ غرباء أنتم يا من تتسمون بما بعد الحداثة!

- تلعثمتُ وقلت: مرحى، مرحى، الشاعر المغوار «عمر بن أبي ربيعة»! ثم أردفت -ملطفًا الأجواء- «وهل يخفى القمر؟»
- عن أي قمر تتحدث؟ إن مجلسًا به كل هؤلاء الشيوخ، وبعض الشمطاوات من النساء لا يمكن أن ترى فيه قمرًا، فالخسوف الخسوف، وهذا أمر طبيعي، لا استغربه، فلقد أخذت على نفسي عهدًا بألا أمدح رجلًا مهما كانت مكانته، فقد سألني الخليفة سليمان بن عبد الملك: ما يمنعك من مدحنا يا عمر؟ فأجبته: «أنا لا أمدح إلا النساء». فكيف تأتي معرفتي في هذا الجمع المذكر؟!

فانطلق رجل يضارع عمر بن أبي ربيعة في وسامته، ببذته ال «بوس»، ورابطة عنقه ال «هيرميس»، وعطره «كارون

بوافور))، وقال: أنت أستاذ الأستاذين، وشيخ الشيوخ، فمن يجهلك؟

قال: حسبك! أستاذ وشيخ! أنت تهرف بما لا تعرف! هل تعرف يا فتى معنى وصفك إياي بأنني أستاذ الأستاذين وشيخ الشيوخ؟! إن ((أستاذ)) كلمة فارسية، فقد كان عِلية القوم يقومون بجلب المعلمين ليدرّسوا لأبنائهم الدروس في القصور، وقد كانوا يقومون بإخصاء المعلمين خوفًا على نسائهم وبناتهم، وكلمة إخصاء في اللغة تعني الأستاذ، ومع الوقت أصبح يستخدم لتعريف المدرسين سواء كانوا مخصيين أم لا.

أما زعمك بأني شيخ، فهذا يذكرني بما قاله أبو أمية الحنفي:

زعَمَتْني شيخًا ولست بشيخ

إنما الشيخ من يدب دبيبا

ثم سأل عمر: من الرجل؟

- تلميذكم ((نزار قباني)).

- هـز رأسـه في وقـار، وقـال: وهـل شِـعرك جميـل مثـل شَـعرك؛ ومـن ثـم يخـول لـك أن تحظى بمنزلـة التتلمـذ علـيّ؟
- بالطبـع ليـس التلميـذ كالأسـتاذ، لكنـي علـى الـدرب أسـير.
- هات بعض ما عندك؛ وأجز.
- تنحنـح نـزار، وعـدّل مـن رابطـة عنقـه، ومـال علـى المايكروفـون، وقـال:

تعبتْ من السفر الطويل حقائبي

وتعبتُ من خيلي ومن غزواتي

فصّلتُ من أجساد النساء عباءة

وبنيتُ أهرامًا من الحلمات

ضحك الشيخ وقال: ولـم كل هـذه المجزرة يـا فتى؟ أراك تتعامـل مـع جسـد المـرأة كأنـك تتعامـل مـع لحـم ناقـة!

ولـم كل هـذه الحلمـات؟ أنـت تتعامـل مـع ظاهـر المـرأة، وشـيخك -كمـا تدعـي- يتعامـل مـع نفسـياتها، أو كمـا تقولـون

معاشر المحدثين سيكولوجيتها. هل رضعت من ثدي أمك حتى شبعت؟

- لقد ظللت أرضع من ثدي أمي حتى السابعة.
- لهذا أراك عندك عقدة الحلمات هذه.
- نطق عالم النفس الطبيب النمساوي «سيجموند فوريد»: إنه مصاب بعقدة «أُديب»! وكل هذا الذي يحمله للمرأة عبارة عن ترسبات في مكنونات اللاوعي منذ طفولته، وتعلقه بثدي أمه حتى وقت متأخر؛ فحدث عنده تجمد عند تلك اللحظة، وبات شِعره جُله يتمحور حول هذا المعنى.

تدخل الدكتور «غازي القصيبي» قائلًا: «عندما تصيب الشاعر عقدة نرجسية كبيرة فالويل كل الويل للقراء، فشاعرنا الكبير عمر بن أبي ربيعة؛ زعم أنه لم توجد حسناء لم تعشقه، وهذا بهتان عظيم. وابن قباني؛ يزعم أن المرأة التي لم تعشقه لم تولد بعد؛ شعراء مشغولون بأنفسهم، والمرأة

تحتاج إلى شاعر ينشغل بها، يركض وراءها طيلة الوقت! و.. ...))

فلما رأيت الحديث يبتعد عن هدفه؛ تدخلتُ بلياقة: شكرًا شكرًا لتلك المداخلة الثرية من شاعرين يعتبران علامة من علامات الشعر العربي في فن الغزل قديمًا وحديثًا. متبوعة برائد التحليل النفسي ((فرويد)) ثم الكبير في كل شيء الدكتور غازي القصيبي.

يا سادة، نريد أن نرسي قواعد للحوار؛ حتى نستفيد من تلك الكوكبة من عظماء الدنيا، والتي لن تتكرر. نحن الآن الساعة السادسة مساءً، ليتنا ننتهي في تمام الساعة الواحدة صباحًا، نكون قد غطينا فيها جدول أعمال جلستنا هذه.

بالنسبة للمداخلات التي لا تتجاوز عبارة أو عبارتين؛ لا حاجة للاستئذان، يكفي أن يتدخل الضيف فيقول ما يريد، شريطة ألا يتجاوز ربع دقيقة. وأية مداخلة بها استطراد أو تعقيب على رأي من الآراء فيكون من خلال الضغط على

الـزر الأحمـر الـذي يعنـي طلـب المداخلـة، والجلسـة جميعهـا مسـجلة؛ حتـى يتسـنى للأجيـال أن يسـتفيدوا مـن مخرجاتهـا.

هل لأحد أي سؤال أيها السادة والسيدات؟

طلـب الفيلسـوف والروائـي الفرنسـي «جـان بـول سـارتر» الكلمـة.

- تفضل الفيلسوف الوجودي الكبير.
- شكرًا، شكرًا. في الحقيقة «أنا لا أحاول الحفاظ على حياتي من خلال فلسفتي فهذا شيء حقير، ولا أحاول إخضاع حياتي لفلسفتي فهذا شيء متحذلق، لكن في الحقيقة الحياة والفلسفة شيء واحد»؛ الحقيقة أننا بحاجة ماسة إلى ثلاثة أشياء: ورق، وأقلام، ونبيذ.
- عفـوًا، عفـوًا سـيدي الفيلسـوف. اللقـاء تنظمـه دولـة عربيـة لهـا تقاليدهـا وأعرافهـا، بالنسـبة لـلأوراق والأقلام دقائق وتكـون أمـام الحضـور جميعهـم، لكـن النبيـذ... لـن نسـتطيع.

- إذا كانت أعرافكم لا ترتضيه فأعرافنا لا تجد فيه أي مانع، ثم إن شاعركم الكبير امرئ القيس يقول: «اليوم خمر وغدًا أمر»، فأي عُرف يمنع؟! كما أنكم معاشر العرب لطالما تغنيتم بالجود والكرم!! فأين هذا الكرم الذي ملأتم به دواوين الشعر كما ملأتم الأرض بكثرتكم والبحر بسفنكم؟؛ يقصد قول عمرو بن كلثوم:

ملأنا البّر حتى ضاق عنّا

وظهر البحر نملأه سَفينا

هنا تدخل عبد الله القصيمي وقال: « العرب ظاهرة صوتية» يا عزيزي، ألم يقل أخطلهم: **(غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة ابن عمرو**، من بني تغلب، المعروف بالأخطل)

قَومٌ إِذا اِستَنبَحَ الأَضيافُ كَلبَهُمُ

قالوا لِأُمِّهِمِ بولي عَلى النارِ

فتُمْسِكُ البَوْلَ بُخْلاً أنْ تجودَ بِهِ

وما تبولُ لهم إلا بمقدارِ

تدخل الأستاذ «مظفّر النواب» دون طلب الكلمة، وقال: أنا مع رأي الفيلسوف «سارتر»، لنترك المسألة لمن يريد أن يكون على طاولته نبيذ.

كان عليّ أن أتدخل ما هذا العبث يا قصيمي، لقد سلبتنا أهم قيمنا التي نتغنى بها!! لذا قلتُ: سأرفع الأمر للجنة المنظمة تبت في موضوع النبيذ هذا. ثم أستأذنكم في أن نبدأ مراسم الجلسة الأولى.

الجلسة الأولى:

لنبدأ جلستنا على بركة الله.

موضوع الجلسة «مشكلة الإنسان الكبرى التي تعتبر أم المشكلات»

أيها السادة والسيدات الحضور؛ من خبراتكم العميقة ما هي مشكلة الإنسان الحقيقية التي يمكن أن نجعلها سبب ونواة لكل مشاكله، أي نطلق عليها أم المشكلات؟

- طلب «سقراط» الكلمة.
- شيخ الفلاسفة، تفضل.
- من وجهة نظري، الإشكالية التي يعانيها الإنسان؛ جهله بنفسه، وأي محاولة للبحث عن الحقيقة دون أن يصل لمكنوناته فسيكون أمام طريق مسدود «اعرف نفسك بنفسك؛ وستجد الحقيقة. فخير الرجال من يسعى لضبط نفسه، وأسعدهم من يشعر بأنه ضابط لها».

- قلت: فيلسوفنا العظيم، المشكلة أن البعض يظن خطأً بأنهم يعرفون أنفسهم، وفي حقيقة الأمر فالمسافة بينهم وبين ذواتهم أبعد مما يتصورون، بل إن بعضًا ممن يحيطون بهم يعرفون عنهم أكثر مما كوّنوه هم عن أنفسهم. فنحن جميعًا في أنفسنا مساحات لم تكتشف بعد! تحتاج إلى ضوء يُركز عليها، أو أحد غيرنا ينبهنا لها لكي نراها!

قاطعني المؤلف الأمريكي «وايـر دايـر» بأنه؛ في كل الأزمان لا يمكن لأحد أن يفهم نفسه أبدًا، أو أن يفهم الكون، إلا إذا وصل إلى هذه النقطة التي تُدعى السلام الداخلي، وذلك شيء لا يمكنك الحصول عليه بتاتًا، لكنك قادر على الشعور به في الداخل فقط. إن تعلّم التناغم مع تفردك الخاص، واستشارة إشاراتك الداخلية سوف يُساعدك على تبيان السبيل إلى النجاح الحقيقي والدائم. ثم قال: «إن اكتشافك لذلك الجزء غير المرئي منك يحدد حقًا كل شيء في حياتك».

وتدخل المتصوف الهندي «أوشو» بالقول: أنا أتفق تمامًا مع أستاذنا سقراط؛ بأنه كلما توجهت في اتجاه المركز (مركزك أنت) ظهرت صفة الاسترخاء، بينما كلما تحركت في اتجاه المحيط الخارجي أصبحت أكثر انزعاجًا. وإذا كنت عرضة للانزعاج، فهذا يدل على شيء واحد وهو أنك متواجد بالقرب من السطح الخارجي ولا شيء سوى ذلك. هذا مؤشر على أنك جعلت مسكنك بالقرب من السطح، وهذا مسكن زائف لأن بيتك الحقيقي هو في المركز، في مركز كينونتك.

ثم تدخل القديس «فرانسيس دي سال» بعبارة مختصرة فحواها «لا تتمن أن تكون أي شيء إلا نفسك وما أنت عليه، وحاول أن تكون كذلك تمامًا».

وعقّب الدكتور «غازي القصيبي»: «لا يأتي من الغرب ما يسر القلب. هذه من الأمور التسويقية التي ابتلينا بها من الغرب، مستخرجات تسويقية لإنعاش الاقتصاد الأمريكي؛ حقق طموحاتك! والمستفيد صانعو السيارات.

وسّـع مـداركك! والمسـتفيد ناشـرو الكتـب. اعـرف نفسـك! والمسـتفيد أسـاتذة اليوجـا)).

وفجـأة قـام ((أحمـد فـؤاد نجـم)) مـن مجلسـه وقـال: ((علـيّ الطـلاق أنتـم شـاربين حاجـة))، مفيـش فيكـم غيـر الراجـل اللـي لابـس عقـال ده -يقصـد الدكتـور القصيبـي- نَفسـي مين اللـي اعرفهـا يـا عـم سـقراط انـت والدراويـش بتوعـك! ؟ يعنـي دلوقتـي أنـا مـش عـارف نفسـي، وكل واحـد فينـا لمـا يعـرف نفسـك هتتحـل مشـاكل العالـم.

سأل ((وايـر دايـر)): من المتحدث؟

سـمعه ((أحمـد فـؤاد نجـم))، فقـال: أنـا نجـم، الفاجومـي المصـري، أشـهر شـاعر عاميـة في الوطـن العربـي.

كان بجـوار نجـم الشـاعر ((عبـد الحميـد الديـب))، فقـال: أنـا أتفـق تمامًـا مـع نجـم النجـوم، حينمـا قـال سـقراط اعـرف نفسـك، والـكل يحـاول أن يتماهـى معـه، كأنهـم على موعـد مـع المثـل العربـي ((بـال حمـار فاسـتبال أحمـره))!!!

مال عليه نجم وقال له: ((يعني إيه يتماهى يا عُبَدْ؟))

رد عليه الديب بصوت هامس: بعدين، بعدين يا نجم.

رفع الدكتور ((طه حسين هامته))، وقال: يا عباس؛ من الأستاذ الذي استشهد بهذا المثل العربي؟

- إنه الشاعر الصعلوك عبد الحميد الديب يا طه باشا.
- وما يقول في شعره؟

هنا انبرى عبد الحميد قائلًا: دعني أقول يا أستاذ عبّاس.

تفضل، تفضل يا شاعر.

نظر عبد الحميد الديب في أسى للحضور وقال:

دع الشكوى وهات الكأس نسكر

ودعك من الزمان إذا تنكّر

وهام بي الأسي والبؤس حتى

كأني عبلة والبؤس عنتر

كأني حائط كتبوا عليه

هنا يا أيها المزنوق ((طرطر))

تدخلت «سيمون دي بوفوار» ايه يا جماعة، مش معقول كده؛ «بولي على النار»، و «بال حمار» و«طرطر» إحنا في مرحاض؟

فابتسم الأديب مصطفى الرافعي، ونظر للعقاد. فقد كان الأول ينشر مقالات بعنوان «على السفود» يهاجم فيها العقاد، وإن شئت فقل: يسلخه ويشويه، وقد وصفه بأنه الشاعر «المراحيضي»، نسبة إلى المراحيض. فقد جاء في قصيدة للعقاد في رثاء كلب له اسمه «بيجو» يقول: «مرحاضه أعز أثوابنا».

قال نجم: أنا مع رأي الأستاذ عبد الحميد، وقال نجيب سرور: يا مدام سيمون؛ احنا في جلسة مفتوحة، لكل شخص يقول رأيه كما يشاء.

مال نجم على نجيب: انت تعرفها يا نجيب؟

- دي مدام سيمون دي بوفوار.
- مدام إيه؟
- سيمون دي بوفوار. عارف سارتر اللي طلب نبيذ؟

- أيوه، عارفه.
- دي بقي الأنتيم بتاعه.

قال مظفر النواب: بهمس ((أولاد القحبة)).

تبسم نجيب وكتم ضحكه.

جاء صوت سارتر على غير المتوقع، يا سادة، يا سادة، أنا أتفق مع الأستاذ عبد الحميد الذئب.

تدخلت وقلت: الديب يا أستاذ، الديب.

أتفق مع الأستاذ عبد الحميد الديب.

فحدجته ((سيمون دي بوفوار)) بنظرة قوية، فتراجع قائلًا: مع تحفظي طبعًا على: ((بولي على النار)) و ((بال حمار)) و((طرطر)).

قال نجم: يا عمنا ارسِ على بر. أنت متفق ولا مختلف؟

رد سارتر: أنا أتفق معه في البيت الأول.

قال نجم: يا نمس. يعني عاوز الكأس وتسكر!!

هنا تدخل «بابلو بيكاسوا» قائلًا بهدوء: «اشرب لي، اشرب لصحتي، فأنت تعرف أنه لا يمكنني الشرب أكثر من ذلك». وهي العبارة التي كانت آخر ما نطق به قبل موته أثناء عشاءه مع زوجته «جاكلين» وبعض أصدقائهما.

تدخلتُ وقلت يا سادة، لو سمحتم، لو سمحتم؛ نقطة نظام؟ يا ليتنا نتجاوز هذه النقطة؛ لأنها استنزفت بعض وقتنا دون أن نصل لشيء. مع حذف كلمات: «بولي على النار» و«بال حمار» و«طرطر».

طلبت الدكتورة «نوال السعداوي» الكلمة.

- تفضلي دكتورة نوال.
- السيدات والسادة.

تدخل السيد «محمد رشيد رضا»، موجهًا حديثه لي: أستاذ عبّاس، نقطة نظام لو سمحت.

- فيه إيه فضيلة الأستاذ؟
- ألم تسمع ما قالت؟

- هي لم تقل شيء بعد! لم تقل غير «السيدات والسادة».
- هذا هو! كيف نقدم السيدات على السادة، والرجال فضلوا على النساء بموجب الآية القرآنية «وللرجال عليهن درجة».
- لكن عملية تقديمهن في الخطاب لا يعني بالضرورة أنهن أعلى من الرجال. وعلى كلٍ، لنتجاوز هذا التقديم، تفضلي يا دكتورة، تفضلي.

الجمع الكريم، إن تدخل وحساسية الشيخ رشيد رضا يلخص كثيرًا ما كنت بصدد الحديث عنه، هو يريد أن يفرض وصايته على المرأة، وصاية تلغيها بالكلية، بحيث لا يبقى منها إلا جسدها، هذا الجسد الذي يود أن يبقيه فقط لمتعته.

طلبت الكلمة امرأة شقراء، عرفت نفسها بأنها «أليز بولدنج» قالت: لو تسمح لي مستر عبّاس ببعض الوقت، ولم تنتظر جوابًا فقالت: «إنه بالرغم من التباين الكبير في

البناء الاجتماعي بين دول العالم الأول والثاني والثالث؛ فإن بينها من السمات المشتركة للأسرة الأبوية ما يبتلي المرأة بالحرمان في كل منها، حيث تمتد سلطة رب الدار في الأسرة الأبوية إلى حق الحياة والموت للنساء والأطفال في أسرته، فإذا كان عليه أن يذود عن نسائه ضد عدوان الآخرين؛ فإنهن لا يكدن يملكن حق حماية أنفسهن منه، وما من جدوى لتدخل القضاء لحماية المسيئات من النساء من بطشه، إذ أن قدرة القانون على التدخل من الناحية العملية أقل مما نتصور. ولهذا كان عجز المرأة أمام المزاج المتقلب للرجل صورة من صور القسوة المتوارثة في نظام الأسرة الأبوية».

ثم تابعت: «إن المرأة تعاني أكثر مما يعاني الرجل من قسوة المعاملة وقهر النظام، بعد أن حدد لها تركيبها البيولوجي وضعًا ثانويًا كأنثى، يقف عائقًا أمام كيانها الاجتماعي على أي مستوى من المستويات الاجتماعية السائدة، ويؤدي إلى تعزيز التمايز في توزيع الموارد التي تقررها الطبقة في كل المجتمعات، وإن بدت في أبسط المجتمعات مغرقة في تمييز

الرجل على المرأة، فإذا قلّ الطعام وشحت الموارد؛ كان على المرأة أن تبدأ بالاستغناء عنها قبل الرجل، وفي كثير من المجتمعات يقل ما تتناوله الفتيات والحوامل من الطعام عن حاجتهن، جريًا على العادة، مما يعرّض الحوامل لخطر الموت عند الولادة، كما أن ما تضطلع به المرأة من أعباء في المجتمعات الصناعية الغنية؛ يزيد على ما يضطلع به الرجل منها، فحيث تقف مسؤولية الرجل عند أمر واحد؛ تقوم المرأة بمسؤولياتها الثلاث المعروفة: الحمل، وإعداد الطعام، والمحافظة على كيان الأسرة».

أومأ العقاد برأسه لأنيس منصور -الذي كان بجواره- مال الأخير إليه، سأله: من المتحدثة يا مولانا؟

أنيس: عالمة الاجتماع الأمريكية أليز بولدنج يا أستاذ.

ثم تدخلت الأديبة «زينب فوّاز» صاحبة كتاب «الدر المنثور في طبقات ربات الخدور» قائلة: «إن التسلط الذكوري جعل المرأة ترى ذاتها وحياتها بمنظور الرجل وأفكاره؛ لأنه ألغى إرادتها واختيارها، وباتت لا تعرف نفسها

إلا من خلاله، وتلك حالة يطلق عليها علم النفس المعاصر «التماهي بالسلطة»، حينما يرى المقهور ذاته وكيانه بعين قاهره، والمطلوب هو أن نرفض سلطة النموذج حتى لا تظل مجرد ملحق لإنسان».

مال «أحمد فؤاد نجم» على «عبد الحميد الديب» وقال: إيه موضوع «يتماهى/ والتماهي» ده يا عُبَدْ؟ هي كلمة عيب ولا إيه؟

- يا نجم التماهي هو التَّقَمُّص أو التَّوَحُّد، ويعرفه عُلماء النفس بأنه: «سَيْرُورَة سيكولوجية في بناء الشخصية».
- لا يا شيخ! لا، التماهي أسهل.
- اصبر، اصبر، بعدين أوضحها لك.

عقبتُ قائلًا: إن تلك المجتمعات الذكورية البذر، قطعًا ستنتج رجالًا في شكل أشجار الأَرْزُ القوية، بينما ستكون النساء بمثابة الحشائش التي تنمو بجوارها، يظل رعايتها واستبقاءها استكمالًا لنمو هذا الأصل القوي -الأَرْزُ-وإلا

فالحشائش معروف أنها ضارة تعوق نمو الأشجار؛ وحيثما ثبت ذلك فالاجتثاث الاجتثاث.

طلب الأستاذ «العقاد» الكلمة.

- تفضل يا أستاذ، لتكن النهاية عندك، فيكون مسك الختام.
- شكرًا يا مولانا. أنا أرى «أن المرأة تعشق الرجل لتأتي برجل على مثاله، أي لتكرره وتعيد خلقه، ولكن الرجل لا يعشق المرأة ليأتي بامرأة على مثالها ويكررها، وإنما يعشقها ليكرر نفسه، ويأتي بولد له على مثاله هو من طريق المرأة التي تصلح لذلك في نظره وهواه».

صاح شيخ معمم بأعلى صوته:

ما للنساء وللكتابة

وللعمالة والخطابة

هذا لنا، ولهن منا

أن يبتن على جنابة

قالت ((نوال السعداوي)) بصوت عالٍ: مين المتخلف ده؟ جنابة إيه اللي ننام عليها يا بغل؟!!

فقام الشيخ من مجلسه يرعد ويزبد، ويقسم بالأيمان الغلاظ ليشجن رأسها حتى يصبح هذا الشعر الأبيض الجاسم فوق رأسها بلون الدم، ثم قال: والله لن تفلتي من يدي أيتها الحيزبون الشمطاء!

مال ((أحمد فؤاد نجم)) هذه المرة إلى ناحية ((نجيب سرور)) وقال: يعني إيه حيزبون شمطاء يا سرور؟

ضحك نجيب وقال: يعني عجوز داهية، وشعرها أشيب.

صار هرج ومرج في القاعة، وكان لابد من تدخل رجال الأمن، وأخرجوا الرجل الذي حمل عصاه، وكاد يشج رأس نوال.

تدخلتُ وقلتُ: السادة الحضور، رجاء، رجاء؛ أن نلتزم بآداب الحوار.

- الزوجة رجاء: معلش يا عبوسي، أول مرة أقاطعك من أول ما بدأت تحكي. بزمتك يا عباس؛ لما

قلت للحضور: رجاء، رجاء؛ أنا جيت على بالك؟ بصراحة وبدون إحراج.

- لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، تصدقي بالله يا رجاء.
- تحركتْ رجاء في مكانها وتهيأت وردت: ونعم بالله يا سي عباس.
- لو معي عصا الآن؛ لفعلت ما كان يريد الرجل أن يفعله بالدكتورة نوال. هو ده وقته، أو كان فيّ عقل أو أعصاب لك أو غيرك وسط هذه المعممة!
- خلاص، خلاص يا أخويا، كمّل، كمّل. لكن يعني إيه "معمة" يا سي عباس؟
- المعمة يا رجاء؛ هي صوت الشُجَعان في الحرب.
- طيب وده يا أخويا ماله ومال الكلام اللي بتتكلموه، ماله ومال الحرب؟!
- مجرد تشبيه بسخونة الوضع، وتكهرب الأجواء في القاعة. نسيت وقفت فين، الله يسامحك.

- وقفت عندما قلتَ لهم: رجاء، رجاء... طالعة منك زي السكر.
- قلتُ لهم: رجاء يا سادة أن نلتزم بآداب الحوار. ثم طلبت من المضبطة أن تحذف ما قاله الشيخ من محتوى الجلسة.
- وهو الرجل ده غلط يعني في الدكتورة في حاجة؟
- طبعًا، ذكر لفظ نابي لا يليق بالمجلس ولا بالحضور. لأنه باختصار حصر النساء في وظيفة واحدة؛ إلا وهي دورهن في السرير مع الرجل!
- أما إنه رجل نابي صحيح، وده كلام يقوله على الملأ كده، وعيني عينك؟! ألا يعني إيه نابي يا عبّاس؟ يعني يعض؟ له أنياب يعني؟
- يعني؛ بذيء، منافي للأدب والأخلاق. فهمتي؟!
- أيوه يا أخويا، فهمت.

طلب الكلمة «توماس هوبز» الفيلسوف الإنجليزي، وقال: مشكلة الإنسان الكبرى أنه يعيش مع أخيه الإنسان

في حالة تربص دائم! «الإنسان ذئب لأخيه الإنسان». وهذا التربص جعل مراكمة أدوات الحرب سواء على المستوى الفردي الذي تطور للقبلي ثم على مستوى الأوطان، فأصبح الإنسان يبيد أخاه الإنسان. والحرب يا سادة هي الحرب، وجميعكم يعرف ما أحدثته الحروب المتوالية منذ الذئب الأول قابيل مع أخيه هابيل، وهذا التربص يزداد قوة وعنفًا.

تدخل «بنجامين فرانكلين» -أحد الآباء المؤسسين للولايات المتحدة الأمريكية- قائلًا: «لم يكن هناك أبدًا حرب جيدة أو سلام سيء».

ثم قال المؤرخ الإغريقي الشهير «هيرودوت»: «في أوقات السلام الأبناء يدفنون آبائهم. في الحرب الآباء يدفنون أبنائهم».

وقال الفيلسوف الصيني «مانشيوس»: «الحرب هي أن تلتهم الأرض لحوم البشر».

نظر «هنري برجسون» -الفيلسوف الفرنسي والرجل النوبلي (حائز على جائز نوبل للآداب) - ناحية هتلر وقال:

((الحرب هي تسلية الزعماء الوحيدة التي يسمحون لأفراد الشعب بالمشاركة فيها)).

نظر ((هتلر)) بحنق وقال: أية تسلية أيها الفرنسي المائع، لو عاد بي الزمن للوراء لأبدتكم جميعًا، أنتم عالة على الأرض، لا يستحق العيش والكرامة إلا الشعب الألماني.

رد ((هنري برجسون)) قائلًا: عن أية ميوعة تتحدث أيها الشاذ الوقح، عن نومك مع بنت أختك؟

همس مظفر النواب: ((أولاد القحبة)).

تدخل ((فرويد))، هذه مشكلات نفسية تعود لمراحل الطفولة المبكرة، فهتلر عاش طفولة مضطربة؛ حيث كان أبوه عنيفًا في معاملته له ولأمه حتى أن هتلر نفسه صرح أنه كان يتعرض عادة للضرب في صباه من قبل أبيه. وبعدها بسنوات تحدث هتلر إلى مدير أعماله قائلًا: ((عقدت - حينئذ - العزم على ألا أبكي مرة أخرى عندما ينهال عليّ والدي بالسوط. وبعد ذلك بأيام سنحت لي الفرصة كي أضع إرادتي موضع الاختبار. أما والدتي فقد وقفت في رعب تحتمي وراء الباب.

أما أنا فأخذت أحصي في صمت عدد الضربات التي كانت تنهال على مؤخرتي.))

وتابع ((فرويد))؛ عاش هتلر حياة بوهيمية في فيينا على منحة حكومية لإعانة الأيتام ودعم مالي كانت والدته تقدمه له. وتم رفض قبوله مرتين في أكاديمية الفنون الجميلة في فيينا لأنه ((غير مناسب لمجال الرسم)).

وجاء صوت هامس من آخر القاعة: وماذا عنك أيها المحلل النفسي (يعني فرويد) وعن نومك مع أخت زوجتك؟!

همس ((مظفر)): ((أولاد القحبة)).

وقال المعري هامسًا:

عِش مُجبَراً أَو غَيرَ مُجبَر

فَالخَلقُ مَربوبٌ مُدَبَّر

وَالخَيرُ يُهمَسُ بَينَهُم

وَيُقامُ لِلسَوآتِ مِنبَر

قال «هتلر» -بانفعال شديد، مستخدمًا لغة جسده التي اشتهر بها- إن أمثالكم أيها العجزة المعاقين مكانهم القبور، أو القذف بكم من فوق الجبال وأنتم رضّع؛ مثلما كانت تفعل العظيمة اسبرطة في مجدها.

قضب الدكتور «طه حسين» جبينه، وعبرته سحابة حزن، وقال: «احمد الله الذي جعلني أعمى؛ لكيلا أرى تلك الوجوه القبيحة».

ونطق «أبو العلاء المعري» بالقول:

يَسوسونَ الأُمورَ بِغَيرِ عَقلٍ
فَيَنفُذُ أَمرُهُم وَيُقالُ ساسَه
فَأُفَّ مِنَ الحَياةِ وَأُفَّ مِنّي
وَمِن زَمَنٍ رِئاسَتُهُ خَساسَه

رد «هتلر»: هذا كل ما تأخذه البشرية من هؤلاء العجزة، أفواه تأكل، وألسنة تتشدق بكلام لا طائل منه. ولو عاد بي الزمن للوراء لأبدتكم جميعًا، جميعًا، عجم وعرب.

فضرب رجل بقبضة يده المنضدة أمامه فارتجت القاعة، وخيّم الصمت على المكان، حتى هتلر نفسه أخذته ردة الفعل هذه، ووقف رجل شامخ كالرمح، عليه عباءة وشملة، وقال بصوت لم يكن في حاجة إلى مايك: أنا -أبو الأسد -)) عمرو بن كلثوم التغلبي، ثم أنشد:

أَلاَ لاَ يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا

فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِيْنَا

تَهَدَّدُنَا وَتُوْعِدُنَا رُوَيْدًا

مَتَى كُنَّا لأُمِّكَ مَقْتَوِيْنَا

تبسم مظفر النواب وقال: اعطهم أبا أسد، ((أولاد القحاب)).

وَرِثْنَا مَجْدَ عَلْقَمَةَ بِنْ سَيْفٍ

أَبَاحَ لَنَا حُصُوْنَ المَجْدِ دِيْنَا

وَنَحْنُ الحَاكِمُوْنَ إِذَا أُطِعْنَا

وَنَحْنُ العَازِمُوْنَ إِذَا عُصِيْنَا

وَنَحْنُ التَّارِكُوْنَ لِمَا سَخِطْنَا

وَنَحْنُ الآخِذُوْنَ لِمَا رَضِيْنَا

وَكُنَّا الأَيْمَنِيْنَ إِذَا التَقَيْنَا

وَكَانَ الأَيْسَرِيْنَ بَنُو أَبَيْنَا

فَصَالُوا صَوْلَةً فِيْمَنْ يَلِيْهِمْ

وَصُلْنَا صَوْلَةً فِيْمَنْ يَلِيْنَا

فَآبُوا بِالنِّهَابِ وَبِالسَّبَايَا

وَأُبْنَا بِالمُلُوْكِ مُصَفَّدِيْنَا

ونشرَب -إنْ وردْنَا الماءَ- صفوًا

ويشربُ غيرُنا كدرًا وطينَا

إذا ما الملْك سام الناس خسفًا

أبينا أن نقرَّ الذلَّ فينا

ملأنا البر حتى ضاق عنا

وماء البحر نملأه سَفينا

إذا بلَغ الفطامَ لنا صبيٌّ

تخرُّ له الجبابرُ ساجدينا

ولأول مرة منذ بدأت الجلسة يحدث تصفيق مدوٍ، تتقطع به الأكف، كان من جانب معظم الحضور العرب.

ولأول مرة تند ابتسامة من الأستاذ العقاد، ويهمس في أُذن «أنيس منصور» قائلًا: بلغ الباشا -يقصد «طه حسين»-أن هذا هو الشعر الجاهلي الذي قال بانتحاله، وقل له هذا هو «عمرو بن كلثوم» حيّ يُرزق!

وأثناء تلك النشوة التي انتشى بها الجلوس العرب، طلب شاب صغير الكلمة.

لحداثة سنه كدتُ أهمله، لولا أن قواعد الجلسة لا تعطيني هذا الحق، لا سيما وأنه بمجرد أن يضغط على الزر؛ تظهر صورته على الشاشة، قرأت في وجوه الحضور جميعهم التعجب من حضور مثل هذا الشاب الصغير إلى هذا المحفل الضخم الذي لا يضم إلا الشيوخ والعجائز.

قلتُ، تفضل، وعرّفنا بنفسك.

قال: «مصطفى الجزار»، شاعر مصري.

ذُهلت يا رجاء، ذُهلت!!! كيف لشاب لم يسمع به أحد، تأتيه الجرأة ليقول شعرًا في هذا الجمع! ومتى؟ بُعيد "عمرو بن كلثوم"!!!

بدأ بصوت مكتوم قليلًا، بالقول:

كَفْكِف دموعَكَ وانسحِبْ يا عنترة

فعيونُ عبلةَ أصبحَتْ مُستعمَرَة

لا ترجُ بسمةَ ثغرِها يومًا، فقدْ

سقطَت من العِقدِ الثمينِ الجوهرة

ثم بدأ صوته يعلو وأخذ يستخدم جسده بلغة الواثق المتمكن:

قبِّلْ سيوفَ الغاصبينَ ليصفَحوا

واخفِضْ جَنَاحَ الخِزْيِ وارجُ المعذرة

ولْتبتلع أبياتَ فخرِكَ صامتًا

فالشعرُ في عصرِ القنابلِ ثرثرة

والسيفُ في وجهِ البنادقِ عاجزٌ

فقدَ الهُويّةَ والقُوى والسيطرة

فاجمعْ مَفاخِرَكَ القديمةَ كلَّها

واجعلْ لها مِن قاعِ صدرِكَ مقبرة

وابعثْ لعبلةَ في العراقِ تأسُّفًا!

وابعثْ لها في القدسِ قبلَ الغرغرة

اكتبْ لها ما كنتَ تكتبُه لها

تحتَ الظلالِ، وفي الليالي المقمرة

يا دارَ عبلةَ بالعراقِ تكلّمي

هل أصبحَتْ جنّاتُ بابل مقفرة؟

هـل نَهْرُ عبلةَ تُستباحُ مِياهُهُ

وكلابُ أمريكا تُدنِّس كوثرَه؟

يا فارسَ البيداءِ.. صِرتَ فريسةً

عبدًا ذليلًا أسودًا ما أحقرَه

متطرِّفًا.. متخلِّفًا.. ومخالِفًا

نسبوا لكَ الإرهابَ صِرتَ مُعسكَرَه

عَبْسٌ تخلّت عنكَ.. هذا دأبُهم
حُمُرٌ ـ لَعمرُكَ ـ كلُّها مستنفِرَة
في الجاهليةِ.. كنتَ وحدكَ قادرًا
أن تهزِمَ الجيشَ العظيمَ وتأسِرَه
لن تستطيعَ الآنَ وحدكَ قهرَهُ
فالزحفُ موجٌ.. والقنابلُ ممطرة
وحصانُكَ العَرَبيُّ ضاعَ صهيلُهُ
بينَ الدويِّ وبينَ صرخةِ مُجبرَة
هلاّ سألتِ الخيلَ يا ابنةَ مالكٍ
كيفَ الصمودُ؟ وأينَ أينَ المقدرة!
هذا الحصانُ يرى المَدافعَ حولَهُ
متأهباتٍ.. والقذائفَ مُشهَرَة
لو كانَ يدري ما المحاورةُ اشتكى
ولَصاحَ في وجهِ القطيعِ وحذَّرَه
يا ويحَ عبسٍ.. أسلَمُوا أعداءَهم

مفتاحَ خيمتِهم، ومَدُّوا القنطرة
فأتى العدوُّ مُسلَّحًا، بشقاقِهم
ونفاقِهم، وأقام فيهم مِنبرَه
ذاقوا وَبَالَ ركوعِهم وخُنوعِهم
فالعيشُ مُرٌّ.. والهزائمُ مُنكَرَة
هذِي يدُ الأوطانِ تجزي أهلَها
مَن يقترفْ في حقّها شرّا.. يَرَه
ضاعت عُبَيلةُ.. والنياقُ.. ودارُها
لم يبقَ شيءٌ بَعدَها كي نخسرَه
فدَعوا ضميرَ العُربِ يرقدُ ساكنًا
في قبرِهِ.. وادْعوا لهُ.. بالمغفرة
عَجَزَ الكلامُ عن الكلامِ.. وريشتي
لم تُبقِ دمعًا أو دمًا في المحبرة
وعيونُ عبلةَ لا تزالُ دموعُها
تترقَّبُ الجِسْرَ البعيدَ.. لِتَعبُرَه

ليست قصيدة يا رجاء، ليست قصيدة!! بل قصف. قصف لا يقل قوة عن مدافع هتلر، لا سيما وأنه جاء من بني جِلدتنا، كشف مثالبنا وعوراتنا وضعفنا أمام الجميع، وعلى الرغم من ذلك، لاقى تصفيقًا لا يقل دويه عما لاقى ((عمرو بن كلثوم)).

ولم يكد الحضور ينتهوا من تصفيقهم، إلا ((بعنتر بن شداد)) يهب واقفًا بدون أي استئذان، وقد أخرج سيفه من غمده، فرأيت البعض وقد تضاءل في مقعده، وغاص فيه، كأنه يختبئ بمجرد أن سمع الاسم، ثم قال بصوت منفعل: من ذا الذي يستعمر عيون عبلة هذا؟

لقد هزلت حتَّى بدا من هزالها

كلاها وحتَّى سامها كلُّ مفلس

كما قال -شريف قيس- غيلان الراعي.

ثم رفع صوته وسيفه معًا، وأخذ ينشد:

حَكِّم سُيوفَكَ في رِقابِ العُذَّلِ

وَإِذا نَزَلتَ بِدارِ ذُلٍّ فَارحَلِ

وَإِذا بُليتَ بِظالِمٍ كُن ظالِم

وَإِذا لَقيتَ ذَوي الجَهالَةِ فَاجهَلي

وَإِذا الجَبانُ نَهاكَ يَومَ كَريهَةٍ

خَوفًا عَلَيكَ مِنَ ازدِحامِ الجَحفَلِ

فَاعصِ مَقالَتَهُ وَلا تَحفِل بِه

وَاقدِم إِذا حَقَّ اللِقا في الأَوَّلِ

وَاختَر لِنَفسِكَ مَنزِلًا تَعلو بِهِ

أَو مُت كَريمًا تَحتَ ظُلِّ القَسطَلِ

فَالمَوتُ لا يُنجيكَ مِن آفاتِهِ

حِصنٌ وَلَو شَيَّدتَهُ بِالجَندَلِ

مَوتُ الفَتى في عِزَّةٍ خَيرٌ لَهُ

مِن أَن يَبيتَ أَسيرَ طَرفٍ أَكحَلِ

إِن كُنتَ في عَدَدِ العَبيدِ فَهِمَّتي

فَوقَ الثُرَيّا وَالسِماكِ الأَعزَلِ

أَو أَنكَرَت فُرسانُ عَبسٍ نِسبَتي

فَسِنانُ رُمحي وَالحُسامُ يُقِرُّ لي
وَبِذابِلي وَمُهَنَّدي نِلتُ العُلا
لا بِالقَرابَةِ وَالعَديدِ الأَجزَلِ
وَرَمَيتُ مُهري في العَجاجِ فَخاضَهُ
وَالنارُ تَقدَحُ مِن شِفارِ الأَنصُلِ
خاضَ العَجاجَ مُحَجَّلًا حَتّى إِذ
شَهِدَ الوَقيعَةَ عادَ غَيرَ مُحَجَّلِ
وَلَقَد نَكَبتُ بَني حُريقَةَ نَكبَةً
لَمّا طَعَنتُ صَميمَ قَلبِ الأَخيَلِ
وَقَتَلتُ فارِسَهُم رَبيعَةَ عَنوَةً
وَالهَيذُبانَ وَجابِرَ بنَ مُهَلهَلِ
وَابنَي رَبيعَةَ وَالحَريشَ وَمالِك
وَالزِبرِقانُ غَدا طَريحَ الجَندَلِ
وَأَنا اِبنُ سَوداءِ الجَبينِ كَأَنَّه
ضَبُعٌ تَرَعرَعَ في رُسومِ المَنزِلِ

الساقُ مِنها مِثلُ ساقِ نَعامَةٍ

وَالشَعرُ مِنها مِثلُ حَبِّ الفُلفُلِ

وَالثَغرُ مِن تَحتِ اللِثامِ كَأَنَّهُ

بَرقٌ تَلَألَأَ في الظَلامِ المُسدَلِ

يا نازِلينَ عَلى الحِمى وَدِيارِهِ

هَلّا رَأَيتُم في الدِيارِ تَقَلقُلي

قَد طالَ عِزَّكُم وَذُلّي في الهَوى

وَمِنَ العَجائِبِ عِزَّكُم وَتَذَلَّلي

لا تَسقِني ماءَ الحَياةِ بِذِلَّةٍ

بَل فَاسِقِني بِالعِزِّ كَأسَ الحَنظَلِ

ماءُ الحَياةِ بِذِلَّةٍ كَجَهَنَّمٍ

وَجَهَنَّمٌ بِالعِزِّ أَطيَبُ مَنزِلِ

تصفيق حاد مثل سابقيه. وابتسامة من الأستاذ ((العقاد)) وهو ينظر لأنيس منصور، وقال بصوت سمعه الدكتور ((طه

حسين)) هذه المرة: ((وهذا منتِحل آخر يا مولانا))؛ يهمز بذلك طه باشا.

وحده المفكر السعودي عبد الله القصيمي لم يصفق مع المصفقين العرب، قال مبتسمًا: ((العرب ظاهرة صوتية)؛ إنهم يتكلمون بلا حساب أو محاسبة أو محاكمة أو ضبط لأية كلمة يقولونها، في أي موقف وأمام أية قضية.

إنك ترى أنهم جميعًا: زعماءهم وحكامهم وقادتهم ومعلميهم وكتابهم وجماهيرهم يزحفون على جميع القضايا والمشاكل والمخاطر والاحتياجات التي تواجههم، وتفرض عليهم أعمالًا ومواجهات وأفكار وتحركات ومواقف قوية وصعبة وشجاعة، نعم يزحفون عليها بجيوش متتابعة من الكلام الشاتم المهدد الصارخ البليغ المتدين المغرور القبيح البذيء. .. وحينئذ يسترخون ويشعرون بكل مشاعر الراحة والانتصار والمجد والقوة، بكل مشاعر المناضل المعطى المتفوق الظافر على جميع الخصوم والأنداد والمواجهات. إن كل غضب الحياة وحماسها يموتان فيهم بلا ثمن.

إنك ترى أنهم لو لم يتكلموا لفعلوا؛ لقد جاء الكلام الكثير بديلًا عن الفعل العظيم. لقد سرق الكلام من أنفسهم كل طاقاتها واحتمالاتها وغضبها وحماسها، بل كل ذكائها؛ لقد استنزفها من الأعماق.

حقًا؛ إن العرب ظاهرة كلامية أو لغوية، وقد يكون الصدق أنهم ظاهرة صوتية أو تصويتية؛ أي أنهم لم يبلغوا طور أن يكونوا ظاهرة كلامية أو لغوية.

فرق كبير بين الكلام أو اللغة وبين الصوت أو التصويت... الكلام تخطيط أو تعبير عن تخطيط أو عن خطة أو فكرة أو تفكير، أما الصوت أو التصويت فإنه لا يصعد إلى هذا الطور. إنه ليس إلا إفرازًا أو إطلاقًا مثل البكاء والأنين والتوتر وارتجاف العضلات، مثل كل الانفعالات الذاتية التي تطلق أو تنطلق دون حسابات أو انضباط أو تحديد أو بحث عن شيء معروف أو مظنون.

اسمع إن شئت لمتنبئهم وهو يقول:

فنَحنُ في جَذَلٍ والرّومُ في وَجَلٍ

وَالبَرّ في شُغُلٍ والبَحرُ في خَجَلِ
فَكُلَّما حَلَمَتْ عَذراءُ عِندَهُمُ
فَإِنَّما حَلَمَت بِالسَبيِ وَالجَمَلِ"

أي أن الفتاة الأعجمية تحلم بأن تسبى وتكون أمة في خيمة الرجل العربي يحملها على راحلته!!!

تدخلتُ وقلت: مفكرنا الكبير، لقد وضحت الفكرة، ولكي نقوّض من الظاهرة الصوتية أو الكلامية آمل منكم الاختصار. فضلًا.

فتابع يقول: إن استطرادي هنا يا سيد عبّاس ليس بعيدًا عن موضوعنا الأساسي، بل هو مهم للغاية لتأصيل الفكرة. ثم تابع: أجل أجل، يا سادة "إن العرب ظاهرة كلامية، وقد يقال إنهم ظاهرة صوتية، أي أقل من كلامية، إن للكلام أو للتصويت أو الصوت في حياة العرب وفي تاريخهم شأنًا بل تاريخًا بل مجدًا ضخمًا. .. إن مجد الكلام في حساب العرب ليس في قوله أو في الاستماع إليه فقط، أو في المقاتلة والتهديد والانتصار، أو في التداوي ومحاولة حل جميع المشكلات به

فقط. بل إن مجد الكلام وقوته في كل ذلك، بل وفي أكثر من ذلك جدًا. إن الكلام في حساب العرب وتفكيرهم وإيمانهم بل وفي تاريخيهم هو كل المجد والقوة.

إن العرب ليظلون يتحدثون بضجيج وادعاء عن أمجادهم وانتصاراتهم الخطابية حتى ليذهبوا يحسبون أن ما قالوه قد فعلوه».

تدخل «نزار قباني» قائلًا: أنا أتفق تمامًا مع الأستاذ القصيمي؛ فالسر في مأساتنا صراخنا أضخممن أصواتنا، وسيفنا أطول من قاماتنا. لذا؛

إذا خسرنا الحرب لا غرابه

لأننا ندخلها بكل ما يملك الشرقي من مواهب الخطابة

بالعنتريات التي ما قتلت ذبابه

لأننا ندخلها بمنطق الطبلة والربابة

ثم تابع «القصيمي»؛ «حتى الإله الذي يؤمن به العرب ويصلّون له؛ هل له مجد أو قوة غير الكلام المنزل البليغ؟ لقد كان هذا الإله يصدّق العرب جدًا، أو لقد أصبح يصدقهم

لأنه يريد ويشتهي أن يصدّق ما يقولونه فيه وله وعنه. لقد مدحوه ومجّدوه، وزعموا فيه وله، حتى صار عاجزًا ومستحييًا أن يكذبهم أو يرتاب في صدقهم... لقد أفسدوه و..... »

ضرب شيخ كبير بقبضته على المنضدة وقال: «لقد كفر والله العصيمي بقوله هذا».

وقف الشاعر القروي «رشيد سليم الخور» وأنشد يقول:

هبونيَ عيدًا يجعل العُربَ أمَّةً

وسيروا بجثماني على دين بَرهمِ!!

فقد مزَّقت هذي المذاهب شملنا

وقد حطمتنا بين نابٍ ومنسمِ

سلامٌ على كفرٍ يوحِّد بيننا

وأهلًا وسهلًا بعده بجهنَّم

ثم التقطت الكلمة «عبد الله القصيمي» قائلًا: الجمع الكريم؛ لدى فريق من الحضور التباسًا. «إني لا يمكن أن

أعني بالإله أو الآلهة إله الكون وخالقه وواهبنا الحياة والعقل والخيرات الجمة. وإنما أعني بذلك الطغاة أو الأصنام أو الأوهام أو النظم الاجتماعية المتأخرة الظالمة المنسوبة إلى الإله. وكذلك أعني بالأنبياء والأديان حيثما جاءت في كلامي غير أديان الله وأنبيائه. هذا تصحيح أسجله على نفسي كاحتياط مبالغ فيه جدًا. »

كانت الأرض تميد بي يا رجاء في ذلك الوقت، كانت القاعة على وشك التحول لساحة حرب، وليست هذه المرة بين رجل وامرأة كما سبق مع «نوال السعداوي»، لا، الأمر هذه المرة كان بين فريق وفريق، مجموعة تتبنى رأي القصيمي، ومجموعة تقف مع الشيخ.

لذا، تدخلتُ. تدخلتُ سريعًا؛ أيها الجمع الكريم، لنتذكر الشعار الذي رفعناه في بداية الجلسة، شعار المنار للسيد «محمد رشيد رضا»؛ «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه».

فقال الشيخ «رشيد»: لا يا سيد عبّاس، لا بد من حذف عبارة القصيمي الأخيرة من المضبطة تعظيمًا لجلال الله سبحانه وتعالى.

كانت اللمبات الحمراء مضاءة عند جُل الحضور العرب، وحده «ونستون تشرشل» -رئيس وزراء بريطانا - هو الوحيد غير العربي الذي طلب الكلمة، وكان هذا طوق نجاة لي، أو هكذا تصورت، لأن السماح بسجال آخر بين الفرقاء العرب معناه الحرب الدموية وليس الكلامية.

قلتُ تفضل سيد «تشرشل»، ثم تابعت: فرصة نسمع لعقل الدبلوماسية، فالسيد «تشرشل» يمكنه أن يخرجنا من هذا المأزق والتعصب العرقي بما لديه من خبرات في الحرب والسلم.

قضم «تشرشل» شيئًا من عقب سيجاره الكوبي وقال: «إذا مات الألمان تموت القوة، وإذا مات الروس يموت السلام، وإذا مات الأمريكان يموت الغِنى، وإذا مات الإنكليز تموت السياسة، وإذا مات الفرنسيون يموت الذوق، وإذا

مـات الإيطاليـون يمـوت الإيمـان، وإذا مـات العـرب فسـتموت الخيانـة)).

فجـاء صـوت لـم أميّـز صاحبـه، قائـلًا: ((رمتنـي بدائهـا وانسـلّت)).

وقال ((أبو الطيب المتنبي)): ((الحَرُّ مُمتَحِنٌ بِأَولادِ الزِنا)).

فنظـر إليـه ((تشرشـل)) شـذرًا وهـو ينفـث دخـان سـيجارة وقـال -باحتقـار-: مـن هـذا البـدوي؟

فقال المتنبي:

الخيلُ والليلُ والبَيداءُ تعرِفُني

والسّيفُ والرّمحُ والقرطاسُ وَالقَلَمُ

أنَامُ مِلْءَ جُفُوني عَنْ شَوَارِدِهَا

وَيَسْهَرُ الخَلْقُ جَرّاهَا وَيخْتَصِمُ

ما أبعدَ العَيبَ والنّقصانَ منْ شرَفي

أنَا الثّرَيّا وَذانِ الشّيبُ وَالهَرَمُ

كم تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْبًا فيُعجِزُكمْ

وَيَكْرَهُ الله ما تَأْتُونَ وَالكَرَمُ

ما أبعدَ العَيبَ والنّقصانَ منْ شرَفي

أنَا الثّرَيّا وَذانِ الشّيبُ وَالهَرَمُ

وَمُهْجَةٍ مُهْجَتي من هَمّ صَاحِبها

أدرَكْتُهَا بجَوَادٍ ظَهْرُه حَرَمُ

- قال ((تشرشل)): أريد اسمك لا شجرة العائلة، من أنت؟
- فرد ((المتنبي)):

ومن البليّةِ عذلُ من لا يرعَوي

عن جهله وخطاب من لا يفهمُ

فقال ((تشرشل)) ما فهمت شيء!!!

فقال ((البحتري)): يريد أن يقول لك:

عليَّ نحتُ القوافي من مقاطعها

وما عليَّ إذا لم تفهمِ البقرُ

جاء صوت «تُرك آل الشيخ» بسخرية: يكفينا النوبليين: «نجيب محفوظ، وأحمد زويل»، وفخر العرب مو صلاح!

قال «العقاد» بهمس: أوباش! ألا يفخر هؤلاء العرب بمفكرهم الأعظم «العقاد»! ثم نظر إلى أنيس وقال: من «مو صلاح هذا يا مولانا؟ »

أجاب «أنيس»: هذا «محمد صلاح» لاعب كرة قدم مصري يلعب في الدوري الإنجليزي، وشهرته بلغت الآفاق. ولقد قال فيه الشاعر الفلسطيني نزار حسن شعبان:

«بشباك ساحرة تمنّع عزفها

حتى استدارت تهزم العشب العصيا

كغمزة في الجرح تركل سرجها

مهرًا أصيلًا يحرث الأرض المعدة لاحتمالات الصراخ».

قال: يا أمةً ضحكتْ من جهلها الأممُ. حقًا، نلعب في الحرب، ونحارب في اللعب. ثم إن هذا القول المنثور كيف يعدونه شعرًا، إن هذا لشيء عجاب.

وبعد «تُرك آل الشيخ»، قال وزير الخارجية والإعلام العراقي -في عهد صدام- «محمد سعيد الصحاف»: «علوج».

نظر الشيخ «رشيد رضا» إلى الشيخ «محمود شاكر» وقال: هل تلك الكلمة «علوج» من اللغة العربية يا شيخ محمود؟

- أجاب: نعم نعم، فالعلج في اللغة العربية، هو الرجل الغليظ من كفار العجم والعلوج جمع عِلج، وكل صلب وشديد من الرجال يسمى علج. ويسمى الحمار الوحشي بالعلج، لاستعلاج خلقه وغلظه. واعتلج موج البحر أي التطم، واعتلجت الأرض طال نباتها، وفي قاموس المعاني: عَلَجَ الْوَلَدُ: غَلُظَ، وعَلَجَ الْبَعِيرُ: أَكَلَ العَلَجَانَ، وعَلَجَت الناقةُ علَجانًا: بمعنى اضطربت، وعَلَجَ فلانًا علْجًا: غلبه والعَلَجُ: صِغار النمل.
- وهل ورد ذكرها عند العرب الأوائل؟ بذلك سأله.

- أجاب الشيخ «محمود شاكر»: لقد ورد ذكر العِلج في حديث قتل «عمر بن الخطاب» -رضي الله عنه- حيث قال عمر عندما طعنه المجوسي لابن عباس: يا ابن عباس انظر من قتلني، فجال ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة، قال الصنع (أي العامل) قال نعم. قال عمر: قاتله الله، لقد أمرت به معرَّوفا، الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدعي الإسلام، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة.

وقال أبو البقاء الرندي في مرثيته الشهيرة يصف حال سبي الفرنجة لبنات المسلمين:

وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت

كأنما هي ياقوت ومرجان

يقودها العلج للمكروه مكرهة

والعين باكية والقلب حيران

فقال مظرف النواب: «أولاد القحبة».

فتدخلتُ تدخلت يا رجاء، أهذا الكلام -قحبة، وعلوج، وأولا الزنا- يُقال لتشرشل هذا العجوز العنيد العنيد الصُلب الصُلب الذي قهر هتلر ودفعه للانتحار؟! كانت بوادر الحرب العالمية الثالثة تدور في الأفق، لذا قلت بلباقة: أيها السادة والسيادات؛ هل يمكننا القول بأن اختراع الإنسان للحرب تبريرًا نفسيًا لأن يقتل الإنسان أخاه الإنسان؟

ثم ذهبت إلى هذا المسالم «غاندي»، ظنًا مني أنه يمكن أن يهدئ الأوضاع المتوترة بحكمته، فقلت: ماذا تقول في هذا الحوار أيها المناضل الفيلسوف؟

فقال باقتضاب شديد للغاية: «لا يمكنك أن تصافح القبضة».

لم يحقق غاندي ما قصدته بتهدئة الأوضاع؛ يبدو أن الأمم المغلوبة والمستعمَرة ما تزال مشحونة بآلام الماضي وجراحاته، فقلت: نعم، نعم أيها المهاتما. إن السلام الذي ليس خلفه قوة تحميه استسلام ناعم.

دعونا نتقارب أيها السادة والسيدات، ليس هناك أفضلية لجنس على جنس، البشر جميعًا منذ خُلق آدم وجميعهم سواء، فليس هناك تفضيل لجنس أو عرق على الآخر.

والواقع يؤكد أن البيئة تلعب الدور الأكبر في تفوق الشعوب والأمم، وسأبرهن على ذلك بشاهد رأسي وآخر أفقي.

أما الشاهد الرأسي؛ في تاريخ الأمم والشعوب، فاليونان، ومصر القديمة، والعراق، كانت لهم حضارات تؤشر على مجتمع به عباقرة على كافة المستويات، فما تزال الفلسفة اليونانية تدرس للآن، وما تزال الحضارة الفرعونية تبهر السائحين من مختلف أنحاء العالم، فلو أن الذكاء وراثي لورّث الجدود للأبناء تلك الجينات، وما تأخرت تلك البلدان عن الركب وصارت في ذيل الأمم، والمسلمون الأوائل سادوا الدنيا، وأخذت الأمم عنهم العلوم في شتى المجلات، أين ذكرهم اليوم؟ مجرد ذكرى!

وأما الشاهد الأفقي؛ فالواقع يؤكده، فأطفال البلدان الفقيرة من الدول النامية حينما يعيشون في بلدان متقدمة نجد منهم التفوق والنبوغ. ولو افترضنا جدلًا أن توأمين أُخذا بمجرد ولادتهما، وربي أحدهما في أوربا والأخر في أفريقيا جنوب الصحراء، ماذا نتوقع لكل منهما مستقبلًا؟

يتوقع أن يكون الطفل الذي تربي في أوربا أكثر تفوقًا. مع أنهما توأمان، لكن البيئة هنا هي التي لعبت الدور الأكبر في تكوين ذاك الفرد.

أمر أخير؛ العباقرة في كافة المجالات: (سقراط، أينشتاين، نيوتن، بيكاسو، بيتهوفن، الخوارزمي، البيروني، ابن سينا، بيليه.. ...) أين أولادهم الذين يفترض أن يكونوا ورثوا منهم الذكاء؟ لا يوجد، بل يندر أن تجد في التاريخ ظاهرة التوارث بين العباقرة، أي سلسلة متتابعة من العباقرة في عائلة واحدة.

إن مثل تلك النظريات -تفوق الرجل الغربي- تزامنت مع استعمار أوربا للعالم، وشيوع مثل هذه النظريات يجعل تلك الشعوب المستعمَرة في حالة يأس تام، فمستعمريهم

يمتلكون مقومات وراثية تجعلهم أقدر على التطور والتقدم، ولا يتاح للشعوب الأخرى مثل تلك المقومات، فلا تطمح في أن تخرج من وضعها الوضيع.

إذًا، لا سبيل أمامنا سوى التعاون والتعايش في سلام.

فقال الراهب الألماني «مارتن لوثر»: «السلام الحقيقي ليس مجرد انعدام التوتر؛ بل هو وجود العدالة».

وبعده قال «ديزموند توتو» كبير أساقفة جنوب أفريقيا السابق هذا الرجل النوبلي «إن أردت السلام فلا تتحدث إلى أصدقائك بل تحدث إلى أعدائك».

ثم تبعه ابن موطنه «نيلسون مانديلا» فقال: «الشجعان لا يخشون التسامح من أجل السلام».

وكانت الخاتمة من عند عازف الروك الأمريكي «جيمي هنتركس» الذي طوّر آلة الجيتار الكهربائي فقال: «عندما تتغلب قوة الحب على حب القوة سيشهد العالم السلام».

وقتها وفقط بدأ الهدوء يتسرب إلى النفوس، لكنها كوكب الشرق، وقفت في شموخ الأهرام، ثم ترنمت:

حب إيه اللي أنت جاي تقول عليه

أنت عارف قبله معنى الحب إيه

لما تتكلم عليه لما تتكلم عليه

حب إيه اللي أنت جاي تقول عليه

أنت ما بينك وبين الحب دنيا

دنيا ما تطولها ولا حتى فخيالك

أما نفس الحب عندي حاجة تانية

حاجه أغلى من حياتي ومن جمالك

فتدخل "أحمد فؤاد نجم"، جماله!!! جمال إيه يا ولية؟ -فقد كان "جيمي هنتركس" زنجي ذا شعر مجعد- أنتِ فاكراة جيمي بتعنا؟

يقصد جمال عبد الناصر؟ فمعروف أن أم كلثوم لطالما مجّدت عبد الناصر في أغانيها. ومن أغانيها المشهورة:

يا جمال يا مثال الوطنية أجمل أعيادنا المصرية

بنجاتك يوم المنشية ردوا عليّ

تصوري يا رجاء أم كلثوم على الملأ يُقال لها يا وليه؟!

- فيها إيه يعني يا عبّاس، طيب أنت يا ما قلت لي يا ولية! هي يعني أم كلثوم مذكورة في البخاري. ولا مش من الستات يعني!
- دي كوكب الشرق يا ولية، كوكب الشرق!
- كوكب ونجم، يا حُستي يا حُستي، دي معركة مجرّات، مش معركة قاعات. ها. ها. ها.

طيب، طيب، وبعدين، شوقتني خالص، إيه اللي حصل؟ بقالك ساعة مصدعني بالشحتري والمنبت وابن كلثوم! ألا قولي يا عباس: هو ابن كلثوم اللي كان بيخطب بالشعر ده ابن ثومه، كوكب الشرق، دي كانت تبقى مجزرة!

- لا حول ولا قوة إلا بالله. مش عارف أقولك إيه، اسمه البحتري وليس الشحتري، واسمه المتنبي، أبو الطيب المتنبي وليس المنبت، وعمرو بن كلثوم ده من زمان زمان قبل الإسلام، يعني قبل جدود جدود اللي خلفوا ثومه.

- طيب يا أخويا روّق، أنا يعني إيه عرفني! وإيه اللي حصل مع الست ثومه لما قال لها يا ولية؟

قالت: خرجوا الهلفوت ده بره.

انتفض "نجم" كالسمكة على الصاج، وقفز فوق الطاولة أمامه، ونجيب سرور وعبد الحميد ممسكان به، فقال هلفوت يا بنت ال. .. ..، ثم قال:

يا ولية، عيب اختشي

يا شبه إيد الهون

ده أنتِ اللي زيك مشى

يا مرضعة قلاوون

مدحتي عشرين ملك

وميت وزير ورئيس

مروان، وعبد الملك

والمفتري، وعتريس

بتغني بالزمبلك؟

ولا أنتِ صوت إبليس

من أول المبتدأ

حتى نهاية الكون؟

وهنا حدث تصفيق وصفير من بعض الحضور، الغريب إني رأيت ابتسامات العقاد بعد هذا الشعر الذي لا يعتبره إلا كلام فاضي!!!

هناك ثأر قديم قديم بين نجم وثومه، يتعين أن أوضحه لك سريعًا. فقد كتب قصيدة تحت عنوان «كلب الست»، هجا فيها أم كلثوم بسبب كلبها الذي عض أحد المواطنين ويدعى «إسماعيل»، فتم القبض على إسماعيل والإفراج عن الكلب، وفقًا لقصيدة نجم.

وتعود الواقعة عندما قرر طلبة معهد التربية بالهرم إقامة يوم رياضي مع طلبة كلية الفنون الجميلة بالزمالك، أي في المنطقة التي تقع خلف فيلا أم كلثوم، وعند مشي بعض الطلاب من أمام الفيلا خرج كلب أم كلثوم وقام بعضه، وقرر الطالب الذهاب لنقطة الشرطة وتحرير محضر رسمي،

وبالفعل تم تحويل الطالب للقومسيون الطبي الذي أثبت إصابته.

ولكن الموقف الذي استفز الشاعر «أحمد فؤاد نجم» هو تصريح الطالب إسماعيل في إحدى الصحف وتفاخر بـ« عض» كلب أم كلثوم له، فأطلق نجم قصيدته الشهيرة «كلب الست» التي طارت كل مطار.

- قالت رجاء: طارت مطار إزاي يعني؟
- هذا تعبير مجازي يا رجاء، «طارت كل مطار» يعني اشتهرت بشكل سريع مثل الريح.
- وبتقول إيه القصيدة دي يا عباس.
- يقول نجم:

في الزمالك من سنين

وفي حمى النيل القديم

قصر من عصر اليمين

ملك واحدة من الحريم

صيتها أكتر من الآدان

يسمعوه المسلمين

والتتر والتركمان

والهنود والمنبوذين

ست فاقت على الرجال

في المقام والاحترام

صيت وشهرة وتل مال

يعني في غاية التمام

قُصره، يعني هي كلمة

ليها كلمة ف الحكومة

بس ربك لأجل حكمة

قام حرمها من الأمومة

والأمومة طبع ثابت

جوه حوا من زمان

تعمل إيه الست؟ جابت

فوكس رومي وله ودان

فوكس دا عبال أملتك

عنده دستة خدامين

يعني مش موجود في عيلتك

شخص زيه يا اسماعين

واسماعين دا يبقى واحد

من الجماعة التعبانين

اللي داخوا في المعاهد

والمدارس من سنين

حب يعمل واد فكاكه

ويمشي حبه في الزمالك

والقَيامة والفتاكة

يرموا طبعـًا ع المهالك

عم سمعه من قيامته

حب يعمل فيها فله

بعد ما قلوظ بيجامته

اشترى حتة مجلة

قول مشي بيقرا ف حكاية

من حكايات الغرام

واندماجه في القراية

خلا مشيه مش تمام

ع اليمين يحدف بعيد

خطوتين ويروح شمال

لمحه فوكس من الحديد

قال دا صيد سهل وحلال

هوب نط في كرشه دوغري

جاب بيجامته لحد ديلها

اسماعين بدال ما يجري

قال يا رجلي رجلي مالها

بص شاف الدم سايح

من عاليها ومن واطيها

ويالليي جاي ويالليي رايح

المجلة مش لاقيها

حبه واتلموا الظنايا

اللي هما البوابين

والحكاية والرواية

قال لهم دا كلب مين؟

كلب مين ما كلب مينشي

سمعه زود حبتين

قال له واحد فيهم امشي

اللي جابك عنده مين

قال دا شارع يا مواشي

والجميع بيمروا منه

اللي راكب واللي ماشي

مستحيل نستغني عنه

كلمة من دا.. وكلمة من دا

ظاطو واترسمت فضيحة

قول نهايته والقصد من دا

اسماعين أكل الطريحة

راحوا قسم الشرطة طبعًا

والنيابة كفيلة بيهم

هي حسبة ساعة واحدة

كان في مكتب النيابة

قال له: مالك يا إسماعين

قال له: زي البمب مالي

قال له: عضك فوكس فين

قال له: سيبني أروح لحالي

أنت شوف سي فوكس يمكن

خد تسمم غصب عني

الوكيل قال برضه ممكن

والشاويش قعد يغني

هييص يا كلب الست هيص

لك مقامك في البوليس

طب يا ريت يا فوكس كنا

ولا تربطنا القرابة

أنت فين والكلب فين

أنت قده يا اسماعين

طب دا كلب الست يا ابني

وأنت تطلع ابن مين؟!!

- هـا. هـا. هـا. دا نجـم ده ابـن نكتـه يـا عبـاس، يـا ريـت تبقـى تكتبهـا لـي يـا عبوسـي.
- مـا علينـا، المهـم بدأنـا نهـدئ مـن الأمـر، فـأي محاولـة لإخـراج نجـم مـن القاعـة يعنـي فشـل الملتقـي، فهـو رجـل عنيـد، اسـتعصى علـى الأنظمـة جميعهـا: جمـال عبـد الناصـر، والسـادات، ومبـارك؛ لـم يسـتطع أحـد أن

يستوعبه، شاعر صعلوك وتتوقعين منه أي شيء، في أي وقت، مع أي أحد.

وفي الوقت نفسه، إذا خرجت أم كلثوم من القاعة بهذا الشكل؛ فهذا قد يحدث تصدعات في الملتقى، فلها حضور طاغٍ كما تعرفين.

حاولتُ جاهدًا تهدئة الأوضاع، لابد من أحد يهدئ السيدة أم كلثوم. ذهبت إلى أمير الشعراء أحمد شوقي، وطلبت منه التدخل وتهدئة أم كلثوم. فجلس دقيقتين يحدثها أنها لا تُقارن بهذا الصعلوك، وإن خروجها من القاعة انتصار له، ثم قال: عليك الجلوس ودعي الأمر لي.

جلست أم كلثوم تتوقد، وطلب الكلمة «أحمد شوقي»، فقال:

سل أم كلثوم من بالشرق طارحها

ومن وراء الدجى بالشوق ناجاها

يا أم كلثوم أيام الهوى ذهبت

كالحلم.. آها لأيام الهوى آها

فضجت القاعة بالتصفيق. فقلتُ: شكرًا شكرًا أمير الشعراء أحمد باشا شوقي.

وما كدت انتهي من الاسم وإذ بصوت مجلجل يقول: أمير ماذا؟

التفتُ ناحية الصوت فإذ بأبي الطيب المتنبي، كان أكثر ثورة من «عمرو بن كلثوم» وهو يدافع عن أمه، ومن «عنترة بن شداد» وهو يحرر عيون عبلة التي قال عنها «مصطفى الجزار» بأنها «أصبحت مستعمرة»!!!

قال وهو ثائر ثائر أي إمارة تلك يا هذا؟

أنا الذي نظر الأعمَى إلى أدَبي

وَأسْمَعَتْ كَلِماتي مَنْ بِهِ صَمَمُ

فقال «أحمد شوقي»: العفو العفو شاعرنا الفحل أبو الطيب، فأنت أمير الشعر وملكه، وما تعلمنا القريض إلا من قصائدكم.

فتدخل الأستاذ القصيمي قائلًا، أو إن شئتِ فقولي قاذفًا: معذرة شوقي باشا؛ «إن المتنبي كان فحشًا نفسيًا وإنسانيًا

ولغويًا، كان مأساة تحولت إلى فحش، وفحشًا يفسر بمأساة. كان بلا ضمير، وبلا رحمة، أو حب أو عاطفة إنسانية، وبلا حواجز أو زواجر أخلاقية أو نفسية أو فكرية... وحشًا إنسانيًا يستحق الشفقة والرثاء بقدر ما يستحق الاشمئزاز. .. لم يكن يهاب أو يخجل أو يقاسي من أن يكون أي شيء، أو يتصور بأية صورة، أو يصاغ أية صياغة، أو يُفسَر أي تفسير، أو يلبس أي زي، أو يقف أمام أي باب، أو يهبط إلى أي حضيض. ..

تعرى كل لغات وصيغ وأساليب التعري كل وقت، في كل مكان، تحت كل الظروف، داخل كل العيون المحدقة المفجوعة المفقؤة من دمامة المنظر ووقاحته. ... تعجز كل العيون والتصورات عن ملاحقته هابطًا كاذبًا مفتضحًا مبتذلًا.

لو أن أية امرأة خاطئة، لا شبيه لها في افتضاحها كانت كل حياتها تطوف في كل بلد وكل ميدان وبيت على كل رجل، عارضة جسدها العاري المشوه لتبيعه لكل من يدفع الثمن، بلا أي شرط غير دفع الثمن، وبإعلان وتشهير ودوي ومباهاة، دون أية مقاساة نفسية أو أخلاقية أو حتى جسدية...

إن كلمات: وصولي، انتهازي، منافق، متقلب، متلون، فضاح، مفضوح، بلا كرامة، بلا حياء، بلا مبدأ، بلا ضمير، بلا أخلاق.. إن جميع هذه الكلمات وأمثالها لا تستطيع أن تكون زيًا أو وصفًا كافيًا لحياة المتنبي».

وقف المتنبي والشرر يتطاير من عينيه، وأنشأ يقول:

لا يَسلَمُ الشّرَفُ الرّفيعُ منَ الأذى

حتى يُرَاقَ عَلى جَوَانِبِهِ الدّمُ

فقال أحد الجلوس ليتك أرقت هذا الدم عندما قابلت «فاتك بن أبي جهل الأسدي»!!!

وقد كان فاتك هذا سبق أن هجاه المتنبي، فعندما رآه المتنبي فر هاربًا، وعندما أوشك على الفرار، قال له غلامه: «لا يتحدّث الناس عنك بالفرار وأنت القائل:

الخَيْلُ وَاللّيْلُ وَالبَيْداءُ تَعرِفُني

وَالسّيفُ وَالرّمحُ والقرْطاسُ وَالقَلَمُ»

فعـاد المتنبـي، وقاتـل الرجـل الـذي كان قـد هجـاه، حتـى قُتـل علـى يـد هاجيـه.

قعد المتنبي ذاهلًا شاردًا كالرجل المُحنّط.

فقلـت: أيهـا الجمـع الكريـم، علينا ألا ننسى شـعارنا «نتعاون فيمـا اتفقنـا عليـه، ويعـذر بعضنـا بعضًـا فيمـا اختلفنـا فيه».

ثـم أضفـت، بعيـدًا عـن أي نقـد، يبقـى شـاعرنا المتنبـي دُرة تـاج الشـعر العربـي قديمـه وحديثـه، حتـى أنتـم الأسـتاذ «عبـد الله القصيمـي»؛ في كتابكـم «هـذه هـي الأغـلال» استشـهدتم بأقـوال المتنبـي ثـلاث مـرات في المقدمـة وحدهـا! وقلـت عنـه في موضعيـن مـا نصـه:

«ومن هنا كان المتنبي حكيمًا جدًا حينما قال:

من يهن يسهل الهوان عليه

ما لجرح بميت إيلام»

وقلتـم أيضًـا في موطـن آخـر: «ومـن هنـا كان المتنبـي خبيـرًا جـدًا حينمـا قـال مبينًـا عـن هـذا المعنـى الدقيـق الغامـض:

وشكيتي فقد السقام لأنه

قد كان لما كان لي أعضاء».

ثم ذكرتم بعد ذلك وأنتم تستشهدون بقوله: «عمق قول أبي الطيب وغزارته:

ولم أر في عيوب الناس شيئًا

كنقص القادرين على التمام»

فالقول بأن المتنبي «حكيم جدًا، وخبير جدًا وعميق غزير» ليس له إلا أننا أمام ظاهرة شعرية فريدة في التاريخ.

فردت في المتنبي روحه، ولمحت في عينيه حياة كانت ماتت.

وتابعتُ، معنا في القاعة عميد الأدب العربي الدكتور «طه حسين»، وكتابه «مع المتنبي» له السبق والريادة في إبراز نبوغ شاعرية أبي الطيب.

ولـم يكـد يرفـع الدكتـور طـه جبهتـه لأعلـى؛ إلا والأسـتاذ «محمـود شـاكر» يقـول بصـوت عصبـي: لـو سـمحت أسـتاذ عبـاس.

لقـد صـدر كتابـي «عـن المتنبـي» عـام 1936، بيـد أن كتـاب د. طـه حسـين «مـع المتنبـي» صـدر عـام 1938 إذًا الريـادة عـن أبـي الطيب لـي!!!

أمـا المنهـج؛ فأنـا أول مـن اسـتخدم «منهـج التـذوق»، وكتـاب «طـه حسـين» محشـو بأشـياء كثيـرة تـدل دلالـة قاطعـة علـى أن الدكتـور طـه لـم يسـلك هـذا الطريـق الجديـد علـى مـا كتبـه في كتـاب المتنبـي إلا بعـد أن قـرأ كتابـي! والعـبرة بالسـابق كمـا تعلمـون.

نظـر «العقـاد» لأنيـس منصـور وقـال مبتسـمًا: «سـلم لـي علـى صديقـك المتنبـي»، يلمـز بذلـك طـه حسـين.

وكان الصمـت مـرة أخـرى هـو سـيد الموقـف، وصـرتُ في حيـرة مـن أمـري، هـل أُعطـي الكلمـة للدكتـور طـه؟ فأكـون

بذلك قد ضاعفت من إحراجه إذا لم يكن عنده شيء يقوله، أم أصرف النظر عنه فأكون قد هضمت حقه في الرد!

فقلت أسلم شيء أن أنتقل إلى المتنبي نفسه وأسأله سؤلًا عن محبوبته التي حيرتنا ولم نتوصل إليها في شعره: أهي أخت سيف الدولة الحمداني، أم أمه، أم أخت كافور الأخشيدي؟

فإذ بصاحب الجسم الكبير والألقاب الكبيرة، الذي يرى أن الدكاترة العرب يغفرون لك قتل آبائهم ولا يغفرون لك تجاهل لقبهم؛ غازي القصيبي، ومن باب الحيطة، فهو الدكتور، الشاعر، الروائي، الكاتب، الوزير، السياسي، الدبلوماسي، يقول: «الكتابة التي تحتاج لشارح كتابة رديئة، مهما بلغ عمقها».

عبارة أقصر من ألقاب قائلها!!! لكنني مضطر لذلك، وإلا فما معنى مفكر عصري؟

فسكتُ ولم يرد «المتنبي» على سؤالي. كان لابد من تجاوز هذا الصمت، فأكبر أزمة ممكن تواجه شخصًا يُدير

حـوارًا أن يواجـه فـراغ الصمـت، حتـى إن النقطـة الرئيسـة التـي كانـت موطـن الحـوار ضاعـت منـي؛ لأننـا تفرعنـا لموضوعـات فرعيـة، وإن شـئتِ الدقـة فقولـي لمعـارك جانبيـة.

فأخـذت مقولـة الدكتـور، الشـاعر، الروائـي، الكاتـب، الوزيـر، السياسـي، الدبلوماسـي غـازي القصبـي «الكتابـة التـي تحتـاج لشـارح كتابـة رديئـة مهمـا بلـغ عمقهـا» وحاولـت أن أبنـي عليهـا، فقلـت: وهـل هـذا القـول ينطبـق علـى الفـن أيضًـا؟

طلب الرسام العالمي «بابلو بيكاسو» المداخلة.

تفضل أيها الفنان الكبير.

قـال: أنـا بحكـم خـبرتي في فـن الرسـم، أرى أن الفنـان وحـده هـو مـن يحـدد مـا يفعلـه، ولا ينقـاد لتوجهـات العامـة، لأن هـذا الانقيـاد سـيحد مـن آفـاق إبداعـه.

ثـم تابـع؛ أحـد هـؤلاء الذيـن لـم يسـتوعبوا لوحـاتي، سـألني مـرة: سـيد بيكاسـو؛ يبـدو أنـك لا تحسـن مـن الرسـم سـوى هـذه الخطـوط والألـوان المتداخلـة!

فأخذت فرشاتي وقمت برسم حبة قمح على الأرضية، وكانت من الدقة إلى درجة أن أحد الديكة تقدم محاولًا التقاطها؛ عندها انبهر الرجل وقال لي: لماذا إذًا تصر على هذه الرسوم الغريبة وأنت تحسن الرسم بهذه الطريقة الرائعة؟

فأجبته بكل هدوء: ((في الحقيقة؛ أنا لا أرسم للدجاج))!!

كانت مداخلة بيكاسو لطيفة وطريفة جعلت الوجوه جميعها تتفكك من قيود التشاحن والتلاسن التي انتابت الجميع.

ولقد علقتُ على مداخلته بالقول: يبدو أنني من الدجاج.

ثم أعلنت نهاية الجلسة الأولى، بأن نأخذ استراحة لربع ساعة ثم نعاود الجلسة الثانية.

الجلسة الثانية:

موضوع الجلسة «البشرية إصلاح ذاتي»

بدأتُ مراسم الجلسة الثانية؛ السادة الحضور، أهلًا بكم جميعًا مرة ثانية في الجلسة الثانية لكي نحاول علاج أهم القضايا التي سيكون لها انعكاس إيجابي على البشرية في قابل العصور.

ثم سألت السؤال التقليدي: ما القضية الأهم التي تحتاج إلى إصلاح لكي تتقدم البشرية؟

كانت البداية من عند «سقراط»، فلا يمكن تجاهله وهو أبو الفلسفة، تفضل سيد سقراط. نظر «سقراط» للحضور ورفع عصاه عاليًا وكانت العصا مقوسة من أعلى، وسكت هنيهة حتى كادت الأنفاس أن تُسمع أصواتها. ثم قال: هل ترون تلك العصا؟ أين الاعوجاج؟

أجاب على نفسه: الاعوجاج في الأعلى، فيتعين علينا أن نصلح هذا الاعوجاج في الأعلى تسقيم العصا كلها، إن أزمة العالم يا سادة فيمن يتولون أمور الحكم.

وبالتالي؛ «إذا وليت أمرًا أو منصبًا فأبعد عنك الأشرار فإن جميع عيوبهم منسوبة إليك».

وعلق -الرئيس الفرنسي- «شارل ديجول» بأن «السياسة مسألة أكثر خطورةً من أن تُترك للسياسيين».

وجاء الداهية «تشرشل» فقال: «في السياسة ليس هناك عدو دائم أو صديق دائم هناك مصالح دائمة».

فقلتُ جميل جدًا هذا الطرح يا سادة، فالساسة يتعين أن يتم اختيارهم بحيث يكونون من ذوي الأخلاق الرفيعة، والمثل العليا.

فطلب -الفيلسوف والمفكر الإيطالي- «نيكولو مكيافيلي» الكلمة، فقال: إن ما تتحدثون عنه يصلح ليوتوبيا أفلاطون، لكن الواقع يقول غير ذلك، فالسياسي ليس واعظًا، ولا كاهنًا، ومن ثم فإن كل السبل التي يراها

تحقق له غاياته فهي سبل جيدة، بقطع النظر عن أخلاقيتها. وعلى القائد السياسي ممارسة العنف والقوة لأن ذلك يولد الخوف، والخوف أساسي من أجل السيطرة على الشعوب.

((فالغاية تبرر الوسيلة)) فمن واجب الأمير أحيانًا أن يساند دينًا ما ولو كان يعتقد بفساده، والدين ضروري للحكومة لا لخدمة القضية ولكن لتمكين الحكومة للسيطرة على الناس، فليس للسياسة علاقة بالأخلاق يا سادة.

فقال ((مالك بن نبي)): أتفق تمامًا مع أستاذنا سقراط، وأختلف كليًا مع السيد ((مكيافيلي)) ((فالعلم دون ضمير ما هو إلا خراب للروح، والسياسة دون أخلاق ما هي إلا خراب للأمة)).

طلب الإمام ((محمد عبده)) الكلمة، فأعطيت له.

فقال: إن الأمم والشعوب تختلف فيما بينها وبين بعضها البعض وتتفاوت في هذا الأمر، فنحن في مجتمعاتنا الشرقية والعربية يصلح معنا ((المستبد العادل))؛ ((مستبد يُكره المتناكرين على التعارف، وُيلجئ الناس إلى التراحم،

وُيقهر الجيران على التناصف، ويحمل الناس على رأيه في منافعهم بالرهبة، إن لم يحملوا أنفسهم على ما فيه سعادتهم بالرغبة، ويكفى هذا المستبد خمس عشرة سنة يُثني فيها أعناق الكبار إلى ما هو خير لهم ولأعقابهم ويعالج ما اعتلَّ من طباعهم بأنجح أنواع العلاج. .. إن هذا المستبد العادل يستطيع أن يعمل من أجلنا في خمس عشرة سنة الأعاجيب، ويدفع بالأمة إلى طريق الرقى والتقدم، وهو ما لا نستطيع عمله في خمسة عشر قرنًا.))

فقلت: عفوًا يا إمام، المستبد مستبد، والاستبداد لا يقبل العدل، فالعلاقة بين الاستبداد والعدل كعلاقة الضرائر ببعضهن. فحديثنا عن المستبد العادل هو حديث عن الدائرة المربعة. فلا نعرف في التاريخ كله مستبدًا عدل، لكن التاريخ ملآن بمستبدين جاروا وحادوا على كل المحيطين بهم، ولم يسلم منهم أقرب الأقربين.

وحسبنا بهذا قديما: ((نيرون))؛ الذي انصرف إلى السكر والعربدة والعهر وطاف يشبع رغباته المكبوتة ليتحول حكمه

مع الوقت إلى وبال على الشعب. وسيطر عليه وهم أنه بارع كمغنى ولاعب للقيثارة وسائق عربة حربية. ويحكى في بذخه وحبه للعطور أنه في عهده كان سقف الدعوات يُمطر رذاذًا من العطور والزهور. وقتل كل المحيطين به تقريبًا معلمه، وزوجته، وأمه، وحرق روما وهو جالس يستمتع بذلك ويغني.

وحديثًا؛ جان بيديل بوكاسا، رئيس جمهورية أفريقيا الوسطى، والذي أعلنها امبراطورية وعيّن نفسه امبراطورًا في حفل أسطوري تكلف حوالي 20 مليون دولار، أفلست على إثره الدولة. واعتقل المئات من تلاميذ المدارس لرفضهم شراء الزي المدرسي من شركة تملكها إحدى زوجاته. وذكر أن بوكاسا أشرف شخصيًا على قتل 100 من أطفال المدارس من قبل حرسه الإمبراطوري.

لكن «نيرون» هذا كان مجنونًا يا سيد عباس، هكذا قال «فرويد»، وبوكاسا لم يكن أعقل منه، فقد كان من آكلي لحوم البشر، وقد أُطلق عليه «نيرون العصر» فلا اختلاف

بين نيرون وبوكسا إلا في الدرجة. وإن كنت أتفق معك على أن الاستبداد والعقل لا يلتقيان، لكن المثال الذي استشهدت به في غير موطنه.

فقلت: ((لا يُفتى ومالك في المدينة))، فمعنا في الجلسة أستاذ الأستاذين في هذا الجانب، وصاحب الكتاب العمدة ((طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد)) الأستاذ ((عبد الرحمن الكواكبي)).

قال الأستاذ ((الكواكبي)): أتفق تمامًا مع الأستاذ عباس ((ما أشبه المسْتَبِدّ في تصرّفه مع رعيّته بالوصيّ الخائن القوي؛ فهو يتصرّف في أموال الأيتام وأنفسهم كما يهوى ما داموا ضعافًا قاصرين. فكما أنّه ليس من صالح الوصيّ أن يبلغ الأيتام رشدهم، كذلك ليس من غرض المسْتَبِدّ أن تتنوّر الرعيّة بالعلم؛ فالعلم قبسةٌ من نور الله، وقد خلق الله النّور كشّافًا مبصرًا، يولّد في النفوس حرارةً، والمسْتَبِدّ يخاف من هؤلاء العاملين الراشدين المرشدين، لا من العلماء المنافقين

أو الذين حفر رؤوسهم محفوظاتٌ كثيرة كأنّها مكتبات مقفلة.

وكما يبغض المسْتَبِدّ العلمَ ونتائجه، يبغضه أيضًا لذاته؛ لأن للعلم سلطانًا أقوى من كلِّ سلطان؛ فلا بدَّ للمسْتَبِدّ من أن يستحقر نفسه كلما وقعت عينه على من هو أرقى منه علمًا. ولذلك لا يحبُّ المسْتَبِدّ أن يرى وجه عالمٍ عاقل يتفوق عليه فكرًا؛ فإذا اضطر لمثل الطبيب والمهندس يختار الغبي المتصاغر المتملِّق.

والعوام هم قوّة المسْتَبِدّ وغذاؤه اللذان يحيا بهما. يأسرهم فيفرحون لقوّته، ويغتصب أموالهم فيحمدونه على إبقائه حياتهم، ويهينهم فيمدحون رِفْعته، ويجعل بعضهم أعداء بعض فيفتخرون بسياسته. وإذا أسرف في أموالهم يقولون كريمًا، وإذا قتل منهم ولم يمثِّل بالجثث يعتبرونه رحيمًا. ويسوقهم إلى خطر الموت فيطيعونه خائفين من التوبيخ، وإن نقم عليه منهم بعض الشرفاء قاتلهم كأنهم ظلموا وفجروا)).

وبالتالي الاستبداد مرجعه الجهل، هذا الجهل الذي هو سبب ونتيجة للفقر، ويؤديان للمرض؛ هذا الثالوث القاتل.

فقلتُ: إذًا يا سادة لكي نخرج من تلك الوهدة لابد أن نعالج هذا الثالوث المدمر: الجهل والفقر والمرض.

فكانت البداية كالعادة من عند «سقراط» فقال بالفعل يا سادة، محاربة الجهل والحد منه هو أول الأمراض الاجتماعية التي يمكنها أن تقضي على الأجيال القادمة: «من لم ينفعه العلم لم يأمن ضرر الجهل».

فقال المعلم الأول «أرسطو»: نعم نعم أستاذنا، «يختلف المتعلم عن الجاهل بقدر اختلاف الحي عن الميت».

وقال الأستاذ «مصطفى السباعي»: لا بد أن ينعكس العلم على سلوكيات الشعوب ويرتقي بها. ف «إذا لم يمنع العلم صاحبه من الانحدار كان جهل ابن البادية علمًا خيرًا من علمه».

فقلتُ يا سادة لا بد من أن يكون لنا وقفة هنا، وهي أخلاقيات العلم، فالعلم على إطلاقه بدون ضوابط أخلاقية

قد يقود إلى كوارث، والأخلاقيات لا تقتصر على الضبط المعملي، وموافقة عينة الدراسة وغيرها من الأمور التي تكرست في ضمائر العلماء وحفظتها المواثيق البحثية، لكن أخلاقيات احتكار المعارف لمجتمع دون آخر أو لشعب دون شعب، أو بالأحرى؛ احتكار الشمال للمعارف وتبعية الجنوب، الأمر الذي لا يؤدي إلى العدالة ويوسع الفجوة، وبالتالي سنقع في مطب أخطر؛ اتساع الفجوة، شمال أكثر قوة وغنى، وجنوبي أكثر ضعفًا وفقرًا.

طلب الدكتور «عبد الوهاب المسيري» المداخلة، فقال: ما طرحه الأستاذ عباس خطير للغاية، لأنه باختصار شديد س «يحوسل» المجتمعات الفقيرة.

- قلتُ: معذرة دكتور عبد الوهاب، معروف عنكم صككم للمصطلحات، فهلا أوضحت لنا «يحوسل» هذه، ماذا تعني؟
- «يحوسل»؛ أي أن المجتمعات الفقيرة، أو مجتمعات العالم الثالث بتعبير «شارل ديجول» تتحول إلى

وسـيلة، مجـرد وسـائل وأدوات للمجتمعـات القويـة، فتصبـح "مجتمعـات وظيفيـة".

- وهـذه أيضًـا "المجتمعـات الوظيفيـة" بحاجـة إلـى توضيـح.
- المجتمعات الوظيفية كيانات تصغر أو تكبر تستخدمها الـدول الكـبرى لخدمتهـا، وحصرهـا في دور وظيفـي معيـن.
- وهل يمكن أن توظّف دولة دولة أخرى؟
- هـذا حـادث الأن بالفعـل يـا سـيدي، ويتوقـع أن يكـبر ويتضـح أكثـر باتسـاع الفجـوة بيـن الشـمال والجنـوب، فمثلًا إسـرائيل، تقـوم بـدور وظيفـي للولايـات المتحـدة الأمريكيـة، فقـد أغنـت الأولـى الثانيـة عـن قواعـد متعددة تكلفهـا المليـارات، فـكان وجودهـا في هـذا المـكان يـؤدي دورًا وظيفيًـا للولايـات المتحـدة الأمريكيـة.
- وكيف يمكن للدول الأخرى أن تقوم بدور مشابه؟

- حينما يتحدد مسارهم مثلًا بمهن ووظائف محددة، هذه المهن والوظائف والمصانع التي تقام في تلك المجتمعات تؤطرها في إطار لا تتجاوزه، وهذا كله ناتج من احتكار المعرفة، المعرفة المتطورة.

قال الكاتب والصحفي الأمريكي «روجر كوهين»: «إن نظريات المؤامرة في العالم العربي هي ملجأ الضعفاء في نهاية المطاف»؛ وعليكم أنتم العرب أن تطوروا من أنفسكم إذا أردتم أن يكون لكم مكان على الخريطة العالمية؛ وكلام السيد المسيري مظهر من مظاهر «نظرية المؤامرة» الراكدة في وجدان العرب.

قال: «المسيري»: قد يكون في المقولة بعضًا من الصحة يا سيد روجر؛ فعلينا بالفعل أن نطوّر من أنفسنا حتى يمكننا العيش، لكن عليكم أنتم أن تكفوا عن سرقات عقولنا بداعي المساعدة، فما أن يأتي طلابنا النوابغ لديكم إلا ويتم القبض عليهم.

تدخل الدكتور ((عبد السلام نوير)) وقال: أتفق تمامًا مع ما طرحه الدكتور المسيري ((للأسف الشديد، فإن سرقة العقول العربية قد أصبحت ظاهرة مستفحلة، كما أن الدراسات والإحصاءات، الرسمية وغير الرسمية، تُشير إلى أنها في ازدياد مطَّرد، وليست في تراجع أو تناقص، والمجتمعات العربية – للأسف - أصبحت بيئات طاردة للكفاءات والأدمغة العِلمية العربية، وليست جاذبة أو حاضنة. وتكشف دراسات للجامعة العربية أن 54% من الطلاب العرب، الذين يدرسون في الخارج، لا يعودون إلى بلدانهم الأصلية، لدرجة أن الأطباء العرب أصبحوا يمثِّلون 34% من إجمالي عدد الأطباء في المملكة المتحدة.

وتشير هذه الدراسات إلى أن الوطن العربي يُساهم بنحو 31% من الكفاءات والعقول المهاجرة من الدول النامية ككل، كما أن نحو 50% من الأطباء و23% من المهندسين و15% من العلماء من مجموع الكفاءات العربية، يهاجرون متوجِّهين إلى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا

بوجه خاص. وتوضِّح هذه الدراسات أن نحو 75% من الكفاءات العِلمية العربية مُهاجرة إلى ثلاث دول غربية بالتحديد وهي: بريطانيا وأمريكا وكندا.

وتتجلى الخطورة في أن عددًا من هؤلاء يعملون في أهم التخصّصات الإستراتيجية، مثل: الطب النووي، والجراحات الدقيقة، والهندسة الإلكترونية والميكرو إلكترونية، والعلاج بالإشعاع، والهندسة النووية، وعلوم الليزر، وتكنولوجيا الأنسجة، والفيزياء النووية، وعلوم الفضاء، والميكروبيولوجيا، والهندسة الوراثية.

وأشارت الدراسة إلى أن حوالي 60% ممّن درسوا في الولايات المتحدة خلال الثلاثين عامًا الأخير، لم يعودوا إلى بلادهم، وأن 50% ممّن درسوا في فرنسا، لم يعودا أيضًا لبلادهم».

واقترح الدكتور «نوير» بأن يكون هناك مجلس منتخب لإدارة الكرة الأرضية، بحيث يكون هناك رئيس له «رئيس

مجلس الحكماء" وعدد من الأعضاء المنتخبين، وقائم مقام وزير في وزارات مثل: التكنولوجيا، الثقافة، الدفاع.. ..

لاقت الفكرة قبولًا من جميع الحضور، على أن تضمن ضمن التوصيات النهائية للمؤتمر.

تجاهل "روجر كوهين" ما قاله الدكتور "نوير" لا سيما وهو يتحدث بلغة الأرقام وليس كلامًا مرسلًا، وذهب إلى آخر ما تفوه به الدكتور "المسيري" قائلًا: هل يتوقع أن يتم القبض على أحد فضلًا عن عالم في أمريكا، مهد الديمقراطية؟ إن هذا لشيء مضحك بروفسور مسيري، لا سيما وأنت عشت في أمريكا وحصلت على الماجستير والدكتوراه منها!

- يضحك المسيري، ويقول: لقد ضحكت لأنك قلت: "إن هذا شيء مضحك" فلكيلا أكذبك، لكنك تعلم، أنني أعلم، أنك تعلم مقصودي.
- ابتسم "روجر كوهين"، وقال: على طريقتكم في مصر "عروستي" أي لا أفهم ما تقول!

- هل لي أن أسألك سؤالًا وتجيب عليك بوضوح الآن دون تحفظ أمام الملأ؟
- طبعًا طبعًا، فلسنا في العالم الثالث أو العاشر، نحن نعيش في أمريكا، بلد الحريات يا صديقي، ولأي شخص أن يقول ما يريد طالما لا ينقص من حرية الآخرين.
- أنت كاتب في صحفية النيويورك تايمز -ذائعة الصيت- وعملت كمراسل في خمسة عشر بلدًا حول العالم؛ هل يمكنك أن تتناول موضوع "المحرقة" في أي صحيفة أمريكية وتشكك بالوثائق في الأرقام المعلنة؟ هل يمكنك أنت أو غيرك فعل ذلك؟
- ثار "كوهين" وكيف ولم نشكك في الثوابت يا سيد مسيري؟
- ها. ها. ها، أضحكتني أنت هذه المرة، تبنون علمك على منهج الشك، حيث لا شيء ثابت، حتى الإله والأديان، لا ثبات فيها، لكن عند هذه النقطة؛ تصبح

يقينًا لا شك فيه! هل تعلم أن معي من الوثائق المؤكدة التي تؤكد أن رقم 6 مليون مبالغ فيه للغاية، هل تستطيع نشر هذا؟

- نحن في أمريكا ننشر أي شيء.
- أتحداك، وعفوًا يا سادة، عفوًا، فأنا لا أستخدم هذا التعبير، ولكن لو نُشر ما أطرحه في أي صحيفة أمريكية، إنها سياسة الخطوط الحمراء التي لا يمكن تجاوزها.
- لماذا تكرهون اليهود كل هذا الكره؟
- هل نحن من قتلنا منهم ستة ملايين -على حد زعمك- وأقمنا لهم المحرقة؟ أم نحن من دفعهم إلى الرحيل من جميع أنحاء أوربا إلى فلسطين؟! أنتم في الغرب سيطرت عليكم فترة من الزمن "عقدة الذنب" تجاه أفعالكم مع اليهود، لكنكم حاولت معالجة المشكلة -التي تسببتم بها-بمشكلة أكبر،

بهضم حقوق شعب آخر. وحدث ما يعرفه الجميع؛ وعد بلفور «فأعطى من لا يملك، من لا يستحق!!!»

تدخلتُ حتى لا يتحول الأمر إلى سجال سياسي، بل إلى سجال عربي إسرائيلي، فقلت: ليتنا نعود سريعًا لنقطتنا الأم «الجهل» هذا الداء الذي ينخر في عظام الإنسانية.

فقال «هتلر» كمن يحاول أن يبعد الحوار عن موضوع «الهولوكوست»: «الفقر هو صنو الجهل وصنو المرض ومتى اجتمع الثلاثة كفر الشعب بالدولة ومات في النفوس كل شعور وطني».

قال «جورج برنارد شو»: «هل سنأخذ الحكمة من أفواه المجانيين»، «ماذا يعرف الحمار عن غناء العندليب؟» كما يقول المثل الروماني. يهمز بذلك «هتلر»، ثم تابع «هو لا يعرف شيئًا ويظن أنه يعرف الكثير إذًا فهو يمتهن السياسة».

على كل حال كان قول «برنارد شو» خفيفًا ويمكن تقبله والتعاطي معه، لكن سجال المسيري مع «كوهين» يوصلنا

إلى أرض ملغّمة. فقلتُ هل يمكن لشعرائنا أن يخرجونا من جفاف الفلسفة والمنطق إلى سحر الشعر وروعته.

فقال «حافظ إبراهيم»:

العلم يرفع بيوتًا لا عماد لها

والجهل يهدم بيوت العز والشرف

وتابعه «المتنبي»:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله

وأخو الجهالة بالشقاوة ينعم

وقال: «معروف الرصافي»:

إذا ما الجهل خيّم في بلاد

رأيت أسودها مسخت قرودًا

فهمس القصيمي: امتداد لجدهم الأكبر حينما أُغير على إبله: «أوسعتهم سبًا، وفروا بالإبل»؛ «ظاهرة صوتية». وأحدث تلك الظواهر الصوتية وليس آخرها «جمال عبد الناصر» وقد كان بسبب عنترياته أن لقى حتفه على يد

الأمريكان، مثلما لقى سلفه المتنبي على يد عدوه؛ فقد قرأت عن الدكتور عبد الرحمن بدوي قوله: «حينما خطب جمال عبد الناصر في 23 ديسمبر من عام 1965 في بور سعيد وقال: «إذا لم يعجب أمريكا أن تشرب من البحر الأبيض فلتشرب من البحر الأحمر»، فلما وصلت الترجمة للرئيس الأمريكي جونسون قال: «سأضطره أنا إلى أن يشرب من المجاري! »

تدخل السادات قائلًا: «عفوًا، عفوًا سيد قصيمي، مع احترامي لك وللدكتور «عبد الرحمن بدوي»، لا نشوّه التاريخ، فلا تظلموا الأمريكان، إن من قتل «جمال» هم السوفييت والعرب. نعم نعم، لا تتعجبوا! إن الصحف اللبنانية كانت شريكًا قتلت «جمال» بالسم، الذي كانت تقوله ليل نهار على مصر»؛ وأنتم معاشر العرب تعرفون أن جرح اللسان أشد من جرح السيف.

ولما زار تيتو -الرئيس اليوغسلافي- مصر في 10 أغسطس 1967 انفجر «جمال» فيه وقال له: أرجوك أن تذهب من هنا

إلى هناك وتخبر الاتحاد السوفيتي أني قد تعبت، وطلب منه أن يقول للسوفيت: إنني أرفض هذه المعاملة المهينة، وأنني قد كفرت بكل شيء، فليحتل اليهود مصر!

قال الصحفي المصري «عبد الله السناوي»: لقد سألت الأستاذ هيكل: هل تتوقع أن يكون «عبد الناصر» مات بالسم؟ أجاب: تذكر واقعة جرت في الجناح الذي كان يقيم فيه الرئيس بفندق «هيلتون النيل» والعالم العربي ينتظر ما تسفر عنه القمة العربية الطارئة، التي عقدت لوقف حمامات الدم في عَمان فيما عرف بـ «أيلول الأسود». احتد «عبد الناصر» علي رئيس منظمة التحرير الفلسطينية «ياسر عرفات»، في حضور «هيكل» و«السادات» قائلا: «إما أن ننزل متفقين، أو أعلن فشل مؤتمر القمة في التوصل إلى حل، لم يكن مستعدًا لأي فشل، أو مماطلة في التوصل إلى حل ينهى المأساة. عند ذلك اقترح «السادات» أن يعدّ بنفسه فنجانًا من القهوة للرئيس، دخل إلي المطبخ وصرف العامل المختص واسمه «محمد داود». سألت هيكل -والكلام للسناوي-:

«هـل يمكـن أن يكـون السـادات فعلهـا؟ ». أجـاب: «والله لا أعـرف». ـ أيـن الحقيقـة؟ قـال: «هنـاك أسـباب أخلاقية وسياسـية وعمليـة تمنـع تورطـه في مثـل هـذا العمـل.. لكنـى رويـت مـا رأيت».

فقال نزار قباني منفعلًا:

قتلناكَ..

قتلناكَ.. يا آخرَ الأنبياءْ

ليسَ جديدًا علينا

اغتيالُ الصحابةِ والأولياءْ

فكم من رسولٍ قتلنا

وكم من إمامٍ

ذبحناهُ وهوَ يصلّى صلاةَ العشاءْ

فتاريخُنا كلّهُ محنةٌ

وأيامُنا كلُّها كربلاءْ

قتلناكَ..

يا جبلَ الكبرياءْ

وآخرَ قنديلِ زيتٍ

يضيءُ لنا في ليالي الشتاءْ

وآخرَ سيفٍ من القادسيهْ

قتلناكَ نحنُ بكلتا يدينا

وقُلنا المنيَّهْ

لماذا قبلتَ المجيءَ إلينا؟

فمثلُكَ كانَ كثيرًا علينا

سقيناكَ سُمَّ العروبةِ حتى شبعتْ

رميناكَ في نارِ عمَّانَ حتى احترقتْ

أريناكَ غدرَ العروبةِ حتى كفرتْ

لماذا ظهرتَ بأرضِ النفاقْ

لماذا ظهرتْ؟

فنحنُ شعوبٌ من الجاهليهْ

ونحنُ التقلّبُ

نحنُ التذبذبُ

والباطنيّهْ

نُبايعُ أربابنا في الصباح.

ونأكلُهم حينَ تأتى العشيّهْ

فضرب الشيخ الذي قاطع القصيمي قبلًا بقبضته وصاح: والله لم أر تطرفًا كهذا، من أقصى اليسار لأقصى اليمين، لقد بدأ نزار قصيدته بالزندقة، فجعل ((عبد الناصر آخر الأنبياء)) قال تعالى: {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ، وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} وفي آخر قصيدته جعلنا شعوبًا من الجاهلية!!! فماذا تركت لسيد قطب إذًا يا صاحب رابطة العنق الحريرية؟!

قاطعه الرئيس السادات اجلس اجلس يا ((سعد)) -يبدو أن الرئيس يعرفه-، ثم نظر لنزار وقال: كمان انت اقعد يا نزار، ده لا وقت خطب، ولا وقت شعر خاااالص. وبعدين يا نزار انت مالك ومال التاريخ؟ أنت طول حياتك مشغول

بجغرافية المرأة والإبحار في العيون الزرق والعسلية.. .. ها. ها. ها.

ثم قال بغضب: عبّاس، فين هيكل؟ أنا مش شايفة!! يرد على المهزلة دي.

قلتُ: سيدي الرئيس المؤمن: لقد استأذن الأستاذ هيكل للخروج عندما بدأ الأستاذ القصيمي حديثه عن الرئيس «عبد الناصر» وبرر خروجه بأنه مضطر لتسجيل وثيقة مهمة للتاريخ. لكن الجميع يعلم أنك الرئيس المؤمن، صاحب الحرب والسلام، والأستاذ هيكل نفسه قال: «هناك أسباب أخلاقية وسياسية وعملية تمنع تورطكم في مثل هذا العمل الجبان».

قالت مدام «سيمون دي بوفوا» إن صاحب رواية «الحرب والسلام» الكاتب الروسي ليو تولستوي؛ فكيف تنسبون لكم أنتم العرب تلك الرواية العظيمة لأحد زعمائكم، أمركم غريب أيها العرب. حينما يأخذ الواحد منكم شطر بيت

تنتفضون كأنه احتل بيتكم، وعلى الجانب الآخر تنسبون رواية كاملة لأنفسكم يعرف القاصي والداني كاتبها. ثم. .....

مدام سيمون عفوًا عفوًا، يبدو أن لديك سوء فهم، أنا لم أنسب للرئيس السادات شيئًا. الرئيس السادات معروف أنه صاحب قرار حرب أكتوبر، وصاحب قرار السلام مع إسرائيل، فلُقب بصاحب الحرب والسلام.

ضحك السادات ضحكة مجلجلة وقال: إن ما فعله هيكل وختمه تلك السخافة والبذاءة بقوله «هناك أسباب أخلاقية وسياسية وعملية تمنع التورط في مثل هذا العمل الجبان». ليذكرني بصديقي الرئيس الأمريكي (جونسون) فعندما كان يخوض الانتخابات الرئاسية مع منافسه حسن السمعة (لي أو دانييل) كان جونسون لا يتورع من خوض حروب قذرة في سبيل تحقيق مآربه، وهو الفوز بالانتخابات، وطلب من سكرتيره أن ينشر في الصحف خبر ينفي فيه عن منافسه أنه يضاجع الأبقار، وأنه ضُبط وهو يمارس العمل المشين! قال السكرتير في ذهول: لكن أحدًا لم يتهمه بشيء

كهذا من قبل!!! قال جونسون: وهذا ما نفعله نحن، نحن لا نتهمه، نحن نفي عنه التهمة، فقط أنشر التكذيب، ودع الناس يتساءلون، ودعه هو يؤكد النفي.

فقال الشيخ ((محمد عبده)): ((لعن الله السياسة، وساس، ويسوس، وسائس؛ فإنها ما دخلت شيئًا إلا أفسدته)).

فقلتُ: لنترك السياسة والتاريخ، فهي تفرّق ولا تجمّع، ولنعد سريعًا لموضوعنا الجهل. فقد قال الجهل: أنا ذاهب لزيارة الفقر؛ قال المرض: خذني معك. وتابعت؛ الفقر -يا سادة-ليس عيبًا؛ لكن التباهي به حماقة، والاستسلام له جرم.

وقال ((كونفشيوس)): ((في ظل حكومة فاضلة الفقر عار، وفي ظل حكومة سيئة الغنى هو العار)).

وقال ((علي الوردي)): ((إن مجتمعنا اللئيم يخلق أسباب الفقر والعاهة من جهة، ثم يحتقر المصابين بهما من الجهة الأخرى. وبذا ينمي فيهم عقدًا نفسية لا خلاص منها. وإن

وجود الغنى الفاحش بجانب الفقر المدقع في مجتمع واحد يؤدي الى الانفجار عاجلًا او آجلًا))

وقال ((المهاتما غاندي)): ((يجب أن يعيش الأغنياء ببساطة أكثر حتى يستطيع الفقراء أن يعيشوا)).

وقال ((كارل ماركس)): ((إن تراكم الثروة في قطب واحد من المجتمع هو في نفس الوقت تراكم الفقر والبؤس في القطب الآخر)).

وقال ((تشي جيفارا)): ((الذي قال إن الفقر ليس عيبًا كان يريد أن يكملها ويقول: بل جريمة، ولكن الأغنياء قاطعوه بالتصفيق الحار)).

وقال ((وليام جيمس)): يا سادة، الفقر والغني باقيان، ويتعين على الفقير هو الآخر أن يساعد نفسه، حتى ولو قام الأغنياء بمساعدة الفقراء. ((فعاهاتنا تساعدنا إلى حد غير متوقع، ولو لم يعش دوستويفسكي وتولستوي حياة أليمة لما استطاعا أن يكتبا رواياتهما الخالدة، فاليتم والعمى

والغربة والفقر، قد تكون أسبابًا للنبوغ والإنجاز، والتقدم والعطاء».

وقال الاقتصادي والسياسي الفرنسي «أن روبير تورغو»: «إذا لم نحارب الفقر والجهل فسنضطر يومًا لمحاربة الفقراء والجهلة.»

قلت: إذًا، الجميع متفق على أن الفقر عاهة من العاهات الاجتماعية المؤذنة بشل حركة البشرية، وأن علينا أن نذهب إلى العدالة الاجتماعية. ويكون هناك توزيع للثروات بشكل عادل بين الدول وبعضها البعض، وبين المجتمع الواحد.

سأل «صامويل هنتنجتون» -صاحب نظرية صراع الحضارات- هل هذا طرح منطقي؟ إن هذا يعني تكريس للكسل!! ثم إن هناك ثروات بشرية وثروات طبيعية، فإذا قاسمتني مثلًا ثرواتي الطبيعية من زرع، أو نفط، أو ماء، أو غيرها من المعادن، وكان لديك ثروات بشرية، أو طبيعة ساحرة، فكيف أقاسمك إياها؟ هل ستعطيني بعض شعبك أو طقسك؟!

- يمكن أن أزودك بالخبراء والفنيين الداعمين.
- وهل ستزودني بكل ما لديك من معارف دون أن تكون سابقًا بخطوات واسعة تقنيًا؟! إن هذا يُعيدنا لقضية المعرفة، إنك تعطيني ما يجعلني باقيًا على قيد الحياة، لأن بقائي حيًا يحوسلني، أو يجعل دوري وظيفيًا كما ذكر البروفيسور المسيري منذ قليل.

تدخل «جان جاك روسو»: «المساواة؟» المساواة سيد صامويل؛ ألا يبلغ مواطن من الثراء ما يجعله قادرًا على شراء مواطن آخر، وألا يبلغ مواطن من الفقر ما يجعله قادرًا على بيع نفسه».

وقالت «نوال السعداوي»: إن الحكومات تتاجر باسم الفقير، لما قالوا في مصر 50% عمال وفلاحين يمثلون الشعب في مجلس النواب، كان هناك التفاف على القانون، فكان ملّاك الأراضي الذين هم أرستقراطيون ويقطنون الريف، يدخلون الانتخابات باسم الفلاحين، والفلاحون منهم براء، لأنهم في الحقيقة يمصون دمائهم، لذا، اقترحت في

وقت ماء أن نقوم بعمل تحليل بول لمن يرشح للانتخابات على قوائم الفلاحين، ومن يثبت إصابته بالبلهارسيا أو نجد دم في بوله فهذا هو الفلاح الحقيقي.

وقال أغنى رجل في العالم ((جيف بيزوس)) -صاحب أمازون- (113 مليار دولار): ((الفكرة العامة التي تقول إن على الأغنياء مساعدة الفقراء هي في رأيي فكرة هامة)). وعليه؛ أنا أقترح أن نخصص مؤتمرنا السنوي القادم عن الفقر، وأنا أتولى تمويل المؤتمر بالكامل.

وقال: أمانسيو أورتيغا -صاحب إنديتكس، زارا - (55 مليار دولار) لا يا سيد ((بيزوس))، لست وحدك، لابد أن نتشارك في معاونة الفقراء، أنا سأتولى الإقامة الكاملة وقاعات المؤتمر كل ذلك يكون في أجمل جزر كوكبنا.

وقال وارن باف((-صاحب بيركشير هاثاواي- (67مليار دولار): وطائراتي معنية بنقل الضيوف جميعهم.

وقال برنار أرنو -صاحب مجموعة أل في أم أش - مويت هنسي لوي فيتون - (76مليار دولار): والهدايا التذكارية ومطبوعات المؤتمر تكون علي.

فقال ((جيف بيزوس)): وماذا أفعل أنا؟

قالوا يمكنك أن تتولى عملية شحن أي دعم أو احتياج لوجستي يا سيد جيف؛ فموقع أمازون الأن دخل كل شارع من شوارع المعمورة.

ضجت القاعة بالتصفيق الحار لحرص هؤلاء الكرام على دعم الفقراء حول العالم. وانتهت الجلسة بالاستراحة القصيرة والعودة لجلسة التوصيات.

الجلسة الثالثة: التوصيات:

بدأت الجلسة بالتذكير بأن هذه هي الجلسة الختامية بعد مؤتمر ستذكره لنا الأجيال القادمة، وعلينا ألا نقع فيما يقع فيه العامة من الاستطراد، وأن تكون توصياتنا مرّكزة تليق بالحضور، وطلبت من الحضور أن يكتب كل توصياته، بحيث لا تزيد عن ثلاث لجمعها ومناقشتها في جلسة مصغرة، وبعد مناقشة التوصيات التي تمت في الجلسة المصغرة أوصى المؤتمر بما يلي:

- العمل على نشر الوعي والمعارف لا سيما بين شعوب العالم الثالث.
- بث روح التسامح بين الشعوب وبعضها البعض.
- تضمين المناهج الدراسية مزيد من الموضوعات التي تعمق احترام الآخر وتعلم أخلاقيات الحوار.
- مضاعفة الإنفاق العربي على البحث العِلمي إلى عشرين ضعفًا عن المعدّلات الحالية.

- أن يعقد المؤتمر السنوي الإنساني القادم في نفس الموعد، ويكون موضوعه معالجة الفقر في العالم.
- على هامش المؤتمر السنوي الثاني يتم انتخاب مجلس إدارة كوكب الأرض.

المؤتمر الصحفي:

في نهاية المؤتمر كان الصحفيون يقفون على الباب الرئيس للقاعة، وجميع الحضور يحاولون المرور سريعًا، سأل أحد الصحفيين الأستاذ ((عبد الرحمن الكواكبي)): ما أهم ما ركزتم عليه في هذا الملتقى العالمي؟

قال: ((ينبغي تجفيف منابع الجهل والتخلف والفقر)).

وسأل أحدهم ((أينشتاين)): ما رأيكم وأنتم أعظم عقول البشرية؛ في فعاليات هذا الملتقى العظيم؟

أجاب: ((كنت أتمنى أن أكون سباكًا!)).

وقد سمعت نقابة السباكين بما قال: فأرسلت له عضوية في النقابة.

وسأل صحفي: الأستاذ «مظفر النواب»: هل ترى في هذا اللقاء نفع للبشرية يا شاعرنا الكبير.

أجاب باقتضاب: «أولاد القحبة».

وسُئل الأستاذ عبد الله القصيمي: عن انطباعه عن المفكرين العرب وطرحهم في الملتقى.

فأجاب «للأسف، نحن ظاهرة صوتية».

في نهاية الجلسة التقيتُ في الممر بزعيم الأمة سعد زغلول، والأستاذ محمد حسنين هيكل (أستاذ الصحافة)؛ فقلت للأستاذ هيكل: معقول يا أستاذنا تكون وسط هذا الكم الهائل ممن رويت عنهم قصص كانت محل نقد من إعدائك بأنك لفقتها لهم، وهم الأموات الذين لا يستطيعون نفيًا ولا ردًا، ألم تكن تلك فرصة لن تتكرر لترد على هؤلاء الخراصين؟

- أجاب الأستاذ: كل ذلك سأضمنه في كتاب، كتاب يا عبّاس بيه يبقى للأجيال.
- وما عنوان هذا الكتاب يا أستاذنا؟

- ((كلمتي للتاريخ)) هذا هو اسم الكتاب.

ثم التفتُ إلى زعيم الأمة، وقلت: سعد باشا؛ ما رأيك فيما دار الليلة؟

أجاب: ((مفيش فايدة، مفيش فايدة)).

- قالت رجاء: علشان كده يا حبة عيني كنت بتتقلب كتير وأنت نايم.
- نعم يا رجاء، المؤتمر الأول كان صعب جدًا، لكن في المؤتمر الثاني الذي عُقد بعد عام كانت هناك أمور ملموسة على أرض الواقع، انتهينا لمجلس إدارة منتخب، ولجان معنية بقضايا محددة، ولجان منبثقة عن اللجان، يعني تقدري تقولي كده أعمال إجرائية.
- وهو انت يا أخويا نايم لحد ما مر سنة وحضرت المؤتمر الثاني؟
- حلم يا رجاء، ده حلم، مش واقع.
- لا يا عبوسي لا! انت راسك كانت عريانة خالص يا أخويا.

- عيب يا رجاء، عيب، انتِ بتكلمي أحد أهم المفكرين العرب، ما سمعتي طرحي في اللقاء كيف كان ملفتًا.
- طيب أقوم أهدي النار على المحشي، واجي تكملي بقية الحلم ده، بس بسرعة يا أخويا العيال قربوا يرجعوا من المدرسة وبيجوا جوعانين.

المؤتمر الثاني للإنسانية

عنوان المؤتمر «الفقر آلام وآمال»

اليوم الأول:

تم نقل جميع الحضور إلى جزيرة «بالآوان» تقريبًا هذه أجمل الجزر السياحية الموجودة على وجه الأرض.

أهم ما يميز جزيرة بالآوان هي مياهها النقية الصافية التي تمكنك من رؤية قاع البحر والشعاب المرجانية، ذلك بجانب التنوع المذهل للأسماك الاستوائية، كما ستتمكن من السباحة وصيد الأسماك، أما شواطئ الجزيرة فهي ذات رمال بيضاء ناعمة، كما تنتشر بالجزيرة الغابات الاستوائية والحياة البرية الفريدة وبحيرات الزمرد.

وبجانب كل هذا يا رجاء جزيرة بالآوان لديها موقعين للتراث العالمي لليونسكو «منتزه توباتاها ريفز الطبيعي» للغوص و«منتزه نهر بويرتو برنسيسا الجوفي الوطني» وهو عبارة عن كهف رائع من الحجر الجيري بنهر طويل تحت

الأرض، كل ذلك ساهم بشدة في ضمها إلى قائمة أجمل الجزر في العالم.

أقلت الطائرات الجميع من أنحاء الكرة الأرضية بكل يسر وسهولة إلى الجزيرة.

غاب عن حضور هذا المؤتمر بعض من حضر المؤتمر الأول، قليل منهم أبدى أسبابه واعتذر، وأكثرهم لم يقدم اعتذار عن غيابه.

كان في انتظار الجميع بوفيه طعام مفتوح على البحر، كان به كل ما يخطر على البال، أذكر منه:

- ✓ الكافيار الإيراني الذي يطلق عليه اسم "ألماس"، الأغلى في العالم، ويستخرج هذا الكافيار من بيض سمكة الحفش البيضاء النادرة، التي يتراوح عمرها بين 60 و100 عام، والتي تسبح في جنوب بحر قزوين. أبلغني صديقي هيكل أن ثمن الكيلوغرام واحد منه إلى 34500 دولار.

- ✓ دجاج يطلق عليه اسم دجاج "أيام سيماني" ومصدره إندونيسيا، ويتميز باللون الأسود. أبلغني صديقي هيكل أن ثمن الدجاجة الواحدة 2500 دولار تقريبًا.
- ✓ فراولة سمبيكية. أبلغني صديقي هيكل بأن ثمن الحبة الواحدة 85 دولار.
- ✓ بطيخ دينسوكي. أبلغني صديقي هيكل بأن ثمن الحبة الواحدة 6000 دولار.
- ✓ "نبيذ "موتون روتشيلد". أبلغني صديقي هيكل بأن ثمن الزجاجة الواحدة 20 ألف دولار. ونبيذ "رومان كونتي" أبلغني صديقي هيكل بأن ثمن الزجاجة الواحدة 170 ألف دولار.
- ✓ غزلان وحمام ونعام وبط. .. .. جميعه على السيفود.
- ✓ صناديق من السيجار الكوبي "جورخا بلاك دراجون". أبلغني صديقي هيكل أن سعر العلبة

التي تحتوي 11500 دولار. جميع من يدخنون بلا استثناء كانوا يسألون الأستاذ عن السيجار ومدى جودته.

- مين الأستاذ ده اللي كان الجميع يسأله يا عبّاس؟
- هيكل يا رجاء، هيكل.
- طيب انت ما قلتش اسمه، طول الوقت تقول الأستاذ عباس، الأستاذ القصيمي، أو أستاذ الأستاذين، لكن قلت الأستاذ وما قلت هيكل!
- حينما نطلق الأستاذ مجردة فلا تنصرف إلا إلى هيكل.

تتصوري يا رجاء أن هناك أطعمة كانت مغلفة بورق الذهب عيار 24 قيراط!!! لم أكن بحاجة هذه المرة لأخذ رأي صديقي هيكل في معرفة قيمتها.

أما الحلو، فحدث ولا حرج، يكفي أن أقول لك: إن أمير الشعراء أحمد باشا شوقي نفسه قد قال: إن تلك الحلوى ألذ حلوى ذقتها!!!

- وهـو يعني أمير الشعراء كان أبوه حلواني ولا كان فاتح محـل حلويات!!
- لقد قال في حَلْوى محل البحصلي في لبنان:

اثنان حدث بالحلاوة عنهما

حلو الحبيب وطعم حلو البحصلي

- طيـب بزمتـك يـا عبّـاس الحلويـات اللـي كلتهـا أطعـم مـن صينيـة البسبوسـة بالقشـطة اللـي عملتهـا الأسـبوع اللـي فـات؟ لـم تنتظـر رجـاء جوابًـا، وقالـت: المهـم، أوعـى تكـون يـا عبّـاس شـربت حاجـة مـن الحاجـات دي؟
- أنت عارفه مبادئي يا رجاء.
- وهـو يـا عبّـاس صديقـك هيـكل عـارف أسـعار كل ده ازاي، هـو عنـده مطعـم؟
- الأستاذ هيكل فخرنـا يـا رجـاء، رجل تُفتح أمامه أبواب الملـوك والرؤسـاء وكبـار رجالات الـدول. أقولك حاجة حكاهـا صديقـي هيـكل، أنـه كان في البيـت الأبيـض حيـن

أشعل سيجارًا كوبيًّا فدخل عليه الرئيس الأمريكي "جون كينيدي" وبعد إن سلّم عليه، سأله عن نوع السيجار فأخبره أنه كوبي، فقال جميل جدًا، فعرض عليه هيكل واحدة فرفض، وأخرج سيجار محلي من جيبه، وقال: سياسيًا لا أستطيع أن أقبله. هيكل فخرنا يا رجاء، فخرنا.

- تعرف يا عبوسي أجمل حاجة عجبتني في موضوع البوفيه المفتوح ده إيه؟
- إيه يا رجاء؟
- إنك أكلت الكافيار اللي كان نفسك فيه، ولو قابلت الشاعرة أمل دناقل اللي عمرها ما أكلت لحمة ضاني أوعى تقول لها موضوع الكافيار ده، انت عارف نفسنة الستات!
- ستات مين يا ولية؟ لا حول ولا قوة إلا بالله! هذا الرجل "الجنوبي"، شاعر كبير من الصعيد.
- ده اسمه كلام، راجل وصعيدي واسمه أمل!!

- ده أكيد حليوه علشان كده بيدلعوه. ما علينا بالأستاذ أمل ده. والراجل اللي كان بيسأل عن النبيذ اللي كان بتكلم الكلام الأبيح ده الديب، أكيد هاص في النبيذ!!!
- فعلًا يا رجاء، فعلًا... «أحمد فؤاد نجم، ونجيب سرور، وعبد الحميد الديب» الثلاثة كوّنوا شلة ضموا معهم «سارتر، وسيمون دي بوفوار، وتشي جيفارا» ومجموعة كبيرة، وكانوا شرب طول الوقت، ونجم يقول شعره المضحك المسلي، ويتغزل بين الفينة والفينة بمدام سيمون دي بوفوار.
- معقولة! يتغزل فيها والأستاذ سارتر الأنتيم بتعها قاعد!
- عادي، عادي يا رجاء، هذه أمور عادية عندهم، والأستاذ «غازي القصيبي» له وجهة نظر في هذه المسألة؛ « عندما تكون امرأتك مشهورة يعشقها جميع الرجال، تكون أنت قد حققت انتصارًا عظيمًا

على جميع الرجال". ها. ها. ها. ثم إنك تعتقدين سارتر عبّاس جوزك!

- هو فيه منك اتنين في نخوتك ورجولتك يا سي عباس.
- لقد قال لها: من يراك مدام "سيمون" يقول إنك تجاوزت العشرين بقليل! يا ترى ظني في محله؟

وقبل أن تجيب "سيمون"، قال له "أوسكار وايلد": عزيزي نجم، "لا تثق بامرأة تخبرك عمرها الحقيقي".

- رد نجم: ما لك يا عم "أوسكار"؟ خليك حنين على الست، وبعدين يا عمنا هو أنا رايح أخطبها من الأستاذ سارتر؟

وقال "نجيب سرور" كل "الأميات" تقريبًا.

- أميات إيه يا عباس اللي قالها.
- ده شعر قبيح وخارج يا رجاء، لكن كانت الشلة كلها معجبة به.

- بس تعرف يا عباس: انت صاحي وشك منور، واضح الكافيار ده انت تقّلت فيه.
- الجميع استمتع بالطعام، والجميع كان يحاول أن يظهر بمظهر الرجل العصري في تعاطيه مع الطعام، لكن لفت نظري أن الدكتور "عبد الوهاب المسيري" كان يأكل الدجاج بيده، بدلًا من الشوكة والسكين! على الرغم من أنه عاش في أمريكا سنوات طوال! في جلسة القهوة كنت بجواره، سألته: دكتور "عبد الوهاب"، هناك شيء لفت نظري ونحن على الطعام، هو شيء خاص، هل لي أن أسأل عنه؟
- تفضل سيد "عباس"، تفضل.
- رأيت جميع الحضور يتناولون الطعام بالشوكة والسكين، وحدك كنت تأكل بيدك؛ هل في ذلك علاقة بثقافة التغريب مثلًا؟

- ابتسم ابتسامة جميلة، وقال: لا، لا، ليس له أي علاقة بالتغريب، كل ما هنالك أني أُفضّل التعامل مع الدجاج «تعاملًا وظيفيًا».
- وما المقصود بالتعامل الوظيفي؟
- حينما تأكل الدجاج بالشوكة والسكين تترك كثيرًا من باقيا اللحم في العظام، وحدها يدك يمكنها أن تترك العظام خالية من أي لحم، وفي ذلك حفاظ على مورد مهم من مواردنا الطبيعية «الثروة الحيوانية».

أعجبني منطقه الذي يتسق مع شخصيته.

- منطق إيه ده يا سي عباس، دي دناوة (دناءة) نفس، واضح إنه راجل جعان.
- أبدًا يا رجاء، أبدًا، الدكتور «المسيري» من عائلة ثرية، كان عندهم مصانع قديمًا، وهو مثقف كبير، كبير جدًا. كان الجميع بلا استثناء معجبين للغاية بطريقة تقديم الخدمة، ونوع الخدمة، ومكان الخدمة. فقط الأستاذ «عباس العقاد» لم يعجبه الطعام!

و«سقراط» كان مصرّ على نوعية بسيطة من الطعام، و«غاندي» اعتزل الطعام إلا بعض الخضروات!

- معقول! ليه طيب هما يعني بيعملوا كده ليه؟ منظره يعني؟
- طلب العقاد دجاج مسلوق وأرز، وقال موعد طعامي الساعة الخامسة ولا يقبل التعديل.
- هو معقد الأمور كده ليه؟
- عقاد بقي، ها. ها. ها!!! وطلب «سقراط» خبز وعدس فقط.
- خبز وعدس وسط المعمعة دي!
- من أجل ذلك هاجم الرياضي والفيلسوف الأثيني «أنتيفون» سقراط قائلًا: كنت أعتقد أن هؤلاء الذين يعتنقون الفلسفة هم أسعد الناس، غير أنه ظهر لي أنك تستمد من الحكمة ما يناقض السعادة، ولا ينتابني شك في أن العبد لو غُذي كتغذيتك لهرب من سيده؛ إنك لترضى بغليظ الطعام وأردأ الشراب، وتستخدم

صيفًا وشتاءً معطفًا واحدًا لا يساوي شيئًا، إنك لا تنتعل، ولا تلبس قميصًا!! وإذا كان هؤلاء الذين تخالطهم يشبهونك فتأكد أنك تعلّم فن الشقاء.

وكان رد سقراط: إنني لا أشعر بالحرمان مما أرغب فيه، أتحقر طعامي؟ هل يقل عن طعامك من الناحية الصحية، أو من الناحية الغذائية؟ أصعب الحصول عليه؟ أنادر هو؟ أهو أغلى؟ أتجهل أن الشهية لا تحتاج إلى التوابل؟ وأن من يشرب بلذة لا يفكر فيما لا يستطيع الحصول عليه من أنواع الشراب؟ أرأيتني قط معتصمًا بالبيت من البرد؟ أو منازعًا أحدًا الظل عند اشتداد الحر؟ أو غير قادر على الذهاب حيثما أشاء بسبب جرح في قدمي؟

أما غاندي فكان ما يزال مصرًا على مجاهدة نفسه.

- مجاهدة نفسه! وإيه علاقة ده بالأكل يا عباس؟
- يا رجاء "المهاتما غاندي" كانت له فلسفة في الحياة تقوم. ...
- الأول يا خويا يعني إيه "مهاتما"؟

- يعني الروح العظيمة. كنت أقول إن «غاندي» كانت لديه فلسفة فحواها؛ أن الإنسان يستطيع أن يقاوم أي شيء، حتى الجنس يمكن أن يعتزله نهائيًا، ولكي يؤكد ذلك قيل: إنه كان ينام عاريًا بين فتاتين جميلتين عاريتين؛ لكي يؤكد إمكانية ضبط نفسه. وهذه النقطة الأخيرة جعلت الدكتور كبير الجسم والألقاب غازي القصيبي يحاول التأكد من تلك النقطة، فيسأل ابنته «أنديرا غاندي» سيدتي، آسف إذا كان هذا السؤال محرجًا، ولكنني قرأت مرة أن غاندي كان يصر على النوم عاريًا بين فتاتين جميلتين عاريتين، هل هذا صحيح؟ أجابت: لقد كان هذا خلال فترة من فترات حياته، عندما قرر أن يعتزل الجنس نهائيًا، أراد أن يثبت أن بوسع المرء أن يقاوم النزعة الجنسية رغم الإغراء الشديد. لا شك في أن هذا كان تصرفًا غريبًا، بإمكان المرء أن يعتزل الجنس دون أن يحوّل هذا الموضوع الشخصي إلى قضية كبرى أمام الرأي العام.

- وده كلام يا سي عبّاس، أما إنهم رجاله ناقصين صحيح، سواء "غاندي" أو "غازي"، وغازي ده مفيش عنده أي حياء، رايح يسأل ست عن أبوها كده عيني عينك في موضوع زي ده.
- يا رجاء هذه أمور للتاريخ.
- تاريخ إيه بس، دا انت من أسبوع لما لقيت على موبايل "مازن" فيديو فيه رقص؛ بهدلت الواد، وأعطنا درس لمدة ساعة عن الأخلاق في سلالم القيم.
- اسمه السلم القيمي.
- يعني سلم وسلالم بعيده يعني، كلها درجات! المهم دلوقتي تقول على قلة الأدب دي تاريخ! اسمحلي بقي يا أبو (أبا) مازن دي تبقى "زيشوفرينيا" زي ما قلت لنا قبل كده.
- أولًا اسمها "شيزوفرينا"، ثانيًا يا رجاء فرق بين أن يكون الحديث مع رجل كبير ناضج وبين صبي في مرحلة البناء الأخلاقي والقيمي.

- طيب يا عبّاس، طيب. المهم سيبك من غاندي ده خالص، لا هو ولا الدكتور غازي. ولادك يقولوا إيه لو عرفوا؟!
- يا رجاء، الدكتور غازي والسيد غاندي في الدار الآخرة، ماتا وشبعا موتًا.
- الحمد لله، طمنتني.
- وبعدين يا أخويا حصل إيه؟
- كان مقررًا أن يكون المؤتمر يومين، لكن بناء على استطلاع رأي سري للغاية؛ صوّت الحضور بالإجماع على مد فترة المؤتمر لأسبوع. بعدما رأى الجميع ما رأى.
- تعرف إن المؤتمر ده واضح انه أجمل بكتير عن المؤتمر الأول.

جلست بعد منتصف الليل والبحر بكل اتساعه أمامي، وأصوات موسيقى بعيدة لولا أننا في جزيرة لقلت إنها آتية من بلد مجاور. أي أنني في هدوء مشوب بالحركات الناعمة

الجالبة للنوم؛ لمن أراد نعاسًا، والعشق؛ لمن داعبه الحنين، والكتابة؛ لمن بغى صيد الخواطر. وبدأت بنات أفكاري تأتي جماعات جماعات، أو زخات زخات كما تقول ماجدة الرومي.

- وميـن بنـات أفـكارك دول يـا سـي عبّـاس اللـي يأتـوك جماعـات جماعـات، وبعـد نـص الليـل؟
- هـذا تعبيـر مجـازي يـا رجـاء، بنـات أفـكاري يعنـي الأفـكار التـي تخـرج مـن رأسـي. فبنـاتُ الأفـكار: الخواطـر، وبنـاتُ الدَّهـر: شـدائده، وبنـاتُ الصَّـدْر: همومـه ووساوسـه، وبنـت الشَّـفة: الكلمـة، وبنـت اليمـن: القهـوة، وبنـت عنـب: الخمـر، وبنـاتُ اللَّيـل: الهمـوم والوسـاوس، وبنـت العَيْـن: الدّمعـة، وبنـاتُ الحشـا: الأمعـاء، وبنـاتُ الأسـفار: الإبـل. وبنـت الحـلال: الزّوجـة الصَّالحـة، وبنـت...

- خلاص يا أبو مازن، نقف عند بنت الحلال يا أخويا. خليني أقوم أهدي النار وارجع تاني.. ... وبعدين نكمل.

اليوم الثاني:

بدأت مراسم المؤتمر بعزف موسيقي يقوده «لودفيج فان بيتهوفن»، ثم بدأ الحضور بترديد نشيد الإنسانية.

كانت الجلسة الأولى متوقع أن نناقش فيها الموضوع الرئيس للمؤتمر «آلام الفقراء» فعدلوا فيها بحيث نرسي قواعد لمجلس إدارة الكرة الأرضية، فجلسنا ووضعنا لائحة نحتكم إليها عند الاختلاف. وكان من أهم بنود تلك اللائحة ما يلي:

- ✓ تشكيل مجلس إدارة يدير كوكب الأرض.
- ✓ يترأس هذا المجلس أحد الجنسين من المعروف عنه الحكمة والمعرفة. فقد كان النص «يترأس هذا المجلس رجل أو امرأة» لكن مدام «سيمون دي بوفوار» و«نوال السعداوي» طلبتا أن يكون النص «أحد الجنسين» لكيلا يتقدم الرجل على المرأة.

- ✓ يتم اختيار رئيس مجلس الحكماء بالاقتراع المباشر من قبل الحضور جميعًا.
- ✓ يتكون المجلس من عشرة من الأعضاء يتم انتخابهم من قبل الحضور، شريطة ألا يكون العضو مرشحًا من قبل على منصب رئيس مجلس إدارة الكوكب.
- ✓ كما يختار رئيس مجلس الإدارة الوزراء باستشارة مجلس العشرة، والوزراء هم: الدفاع، والثقافة، والإعلام، والمالية، ووزارة للفقراء. شريطة ألا يكونوا من المرشحين للمناصب السابقة.

تم رُفعت الجلسة لأننا كنا على موعد مع رحلة في الغوص في كهوف الجزيرة، على أن نعاود الحضور في اليوم التالي لإجراء الانتخابات.

أخذتنا سيارات الجولف إلى الشاطئ، ثم ركبنا على متن يخت كبير الحجم، ثم في عرض البحر نزلنا بأنبوب زجاجي لغواصات زجاجية. ثم كنا على موعد مع: شعب مرجانية، وكهوف خلابة، وأسماك بألوان الطيف...

عدنا بعد المغرب، أخذنا حمامات ساونا في أجواء عبقرية، رائحة الصندل تفوح في المكان، وموسيقى ناعمة، وإضاءات دافئة، أظن أن الجميع نام مع هذا الجو الساحر.

ثم أُشعرنا بأن موعد عشاءنا بعد ساعة على هضبة من هضاب الجزيرة. كانت الهضبة على شكل مربع شبه مستدير، والأضواء تنبعث من أسف تتلألأ في الفضاء، وخرير المياه من حولنا وأصوات أمواج البحر لا يكاد يسمع، ورائحة عود الكمبوديا تفوح في المكان.

كان رعاة المؤتمر «جيف بيزوس» و«أمانسيو أورتيغا» و «وارن باف» و«برنار أرنو» جميعهم يشملوننا بالرعاية والاهتمام.

في تلك الأمسية سأل «وارن باف» الأستاذ «عبد الحميد الديب»؛ مستر ديب، آمل أن تكون الإقامة مريحة، وأن يكون النبيذ المقدم على مستواك.

لم ينتظر نجم إجابة الديب، فانبرى يقول: مستواه. حلو دي يا مستر «باف»، تعرف يا باف بيه، أنا عزمت الديب مرة

على سهرة، طول حياته ما نساها غير امبارح، تعرف قالي ايه امبارح بعد ما شرب أول كاس؟

قال إيه يا أبو (أبا) النجوم؟

قال: واضح إننا كنا نشرب جاز يا نجم.

ها. ها. ها. .. عمومًا إقامة مريحة ومؤتمر سعيد والجزيرة كلها تحت أمركم.

اليوم الثالث:

فُتح باب الترشيح على منصب رئيس مجلس الحكماء، ترشح خمسة من الحضور: «جيف بيزوس»، و«عباس محمود العقاد»، و«أبو الطيب المتنبي»، و«عنترة بن شداد»، و«أفلاطون».

أُعطي لكل مرشح ربع ساعة يلخص فيها برنامجه، واقترحتُ أن يكون الترتيب حسب العمر، أي الأكبر سنًا، وبالتالي كان الترتيب كالتالي: أفلاطون، عنترة بن شداد، أبو الطيب المتنبي، عباس محمود العقاد، جيف بيزوس.

أفلاطون

الحضور الكرام. لا يخفى عليكم حلمي الإنساني الذي ضمنته في مؤلفي «المدينة الفاضلة»؛ فلو أن هذا الكوكب «الأرض» حكمه الفلاسفة، فسوف يجعلون كل شيء فيه معياريًا، وبناءً عليه ستكون فاضلة.

فالكوكب الفاضل يكون هو المدينة الفاضلة، حيث يجد فيها المواطن والمقيم والزائر أرقى وأكمل أنواع الخدمات وبأسلوب حضاري بعيدًا عن التعقيد وبعيدًا عن الروتين ومن غير تسويف وبعيدًا عن سوء التعامل.

مدينة جديدة ومختلفة عن كل مدننا، ليس الاختلاف في المظهر العمراني فقط بل في كل شيء، في المستوى الحضاري والسكاني والأداء الخدمي الحكومي والخاص.

مدينة أساسها الإنسان نفسه، سواءً كان مسؤولًا أو موظفًا أو عاملًا أو مراجعًا، كبيرًا أم صغيرًا رجلًا أو امرأة، مواطنًا أو مقيمًا، وبكل ما تحمله كلمة ((الفاضلة)) من معان سامية في الشارع، في العمل الحكومي، في العمل الخاص، في المراكز التجارية، عند المسجد، والكنيسة، وفي المطاعم، في الأسواق... في كل موقع نجد أن ((الفاضلة)) والمثالية والوعي والرقي تتجسد في كل وقت وبأرقى صورها.

وأهم معالم تلك الجمهورية؛ أن الدولة عبارة عن وحدة حية تتكون من أعضاء، والفرد خلية فيها، الأخوة

أساس الرابطة بين الأفراد، المساواة بين الجنسين، المشاعية الجنسية لطبقة الحراس (الجند والحكام (والمشاعية في الأولاد.

وسوف يتم توزيع كتاب ((الجمهورية)) على حضراتكم، ففيه كثير من التفاصيل التي لا يحتملها المقام.

عنترة

وقف عنترة فقال: معكم أبو الفوارس عنترة بن عمرو بن شداد بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن ربيعة بن عوذ بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر.

إن منهجي يدور حول فكرة رئيسة لا يمكن أن تنهض البشرية بدونها؛ ألا وهي تحرير البشرية من الرق. قد يقول أحدكم انتهى عصر الرقيق، لكني أقول إن الاستعباد ما يزال يرقد في ضمير البشر، وإن انتهى بشكله التقليدي القائم على الأسر.

إننا إن استطعنا أن نحرر البشر من بعضهم البعض فإننا سنكون أمام جيل فريد في تاريخ البشرية، جيل يبشر بعهد جديد، وطالما حلت المساواة فثمة فجر جديد.

المتنبي

وقف المتنبي رافعًا هامته لأعلى، وينظر في أعلى القاعة، وقال:

أنا الذي نظَرَ الأعمى إلى أدبي
وأسْمَعَتْ كلماتي مَنْ به صَمَمُ
أَنامُ ملءَ جفوني عَنْ شوارِدِها
ويسهرُ الخلقُ جَرّاها وَيَخْتصِمُ
فالخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفني
والسيفُ والرمحُ والقرطاسُ والقلمُ
كمْ تطلبونَ لنا عيبًا فيُعْجزكُمْ
وَيكرَهُ الله ما تأتونَ والكَرَمُ
ما أبعدَ العيبَ والنقصانَ عنْ شرَفِي
أنا الثريا وذانِ الشيْبُ والهَرَمُ

العقاد

وقف العقاد: وقال: السادة الحضور، لا بديل عن الديموقراطية. وهي تعني حكم الشعب. وأن الحكومة الشعبية هي الحكومة التي يرتضيها الشعب ويطمئن اليها. والحرية بغير إيمان حركة آلية حيوانية أقرب الى الفوضى والهياج منها إلى الجهد الصالح والعمل المسدد إلى غايته. وأن الإسلام لا يحارب بالسيف فكرة يمكن أن تحارب بالبرهان والإقناع.

وأرى أن تمام المسؤولية الفردية تكافل الأمة في المسؤولية العامة. والتعاون بالنصيحة على الخدمة العامة هو حق الإنسان على الإنسان، وواجبه لإخوانه في كل مجتمع يعطيه حريته ومسؤوليته ولا ينفرد فيه بالمنافع أو الاضرار

لذا، أرى بتبني الديموقراطية الإسلامية تلك التي تقوم على أربعة أسس لا تقوم ديموقراطية كائنة ما كانت على غيرها وهي:

- ✓ المسؤولية الفردية

- ✓ عموم الحقوق وتساويها بين الناس
- ✓ وجوب الشورى على ولاة الامور
- ✓ التضامن بين الرعية على اختلاف الطوائف و الطبقات

ولأن الوقت لن يسعفني في الإسهاب؛ فإنه سيصل كل واحد منكم نسخة من كتابي "الديمقراطية في الإسلام" ففيه تفصيلات لا يحتمل المقام ذكرها.

جيف بيزوس

وقف جيف بيزوس وقال: أيها السادة والسيدات؛ لستُ ممن يجيد الكلام النظري المرسل، أنا أحب لغة الأرقام لأنها تعكس الأمور على أرض الواقع. من المتوقع أن أكون من الأوائل الذين سيحملون لقب "تريليونير" في العالم وذلك في عام 2040 وليس هذا من باب الفخر، وإنما من قبيل الوصف.

يكفي أن أقول لكم: إنني حينما بدأت شركتي العملاقة أمازون. كوم؛ عانيت كثيرًا حتى يقتنع المستثمرون بفكرتي،

لكـن بعـد مـرور سـنة مـن تأسـيس أمـازون، بـدأ المسـتثمرون بالاصطفـاف خـارج مكتبـي.

إنني أقـول هـذا لكـي أمهّـد لكـم بـأن مشـكلة البشـرية تكمـن في كيفيـة إدارة الثـروات، وأنـا بمـا تكـوّن لـدي مـن خـبرات وتجـارب جعلتني على قائمـة أثريـاء العالـم؛ أتعهـد بـأن أجعـل كوكـب الأرض بمـن عليـه في مـكان ومكانـه بعيـدًا جـدًا عمـا هـو عليـه الأن، وأعـد البشـرية بتخطـي حواجـز الفقـر والانطـلاق إلـى آفـاق الثـروة والغنـى.

شكرًا لكم.

بعدهـا رفعـت الجلسـة لاسـتراحة قصيـرة، ثـم بـدأت عمليـة التصويـت.

كانـت التصويـت يتـم بشـكل سـري، وتـم فـرز الأصـوات علانيـة، وطُلـب منـي أن أُعلـن النتيجـة مـن الأقـل أصواتًـا للأعلـى، فكانـت كمـا يلـي:

- ✓ أبو الطيب المتنبي صوت واحد.
- ✓ عنترة بن شداد ثلاثة أصوات.

- ✓ أفلاطون أربعة أصوات.
- ✓ عباس محمود العقاد عشرين صوتًا.
- ✓ جيف بيزوس ثلاثين صوتًا.
- ✓ 12 صوتًا باطلًا لأن الأوراق بها إشارة على أكثر من مرشح.

وبالتالي فإن الفائز بمنصب رئيس مجلس إدارة الكوكب هو «جيف بيزوس».

ثم انتقلنا لمجلس العشرة، وطُلب من كل مرشح أن يجعل له شعارًا مختصرًا، وترشح ثلاثون شخصًا، وسأكتفي هنا بالشعارات التي رفعها الفائزون، وكانت تلك الشعارات كما يلي:

- **سقراط** «إن أثينا مثل حصان كسول، وأنا كذبابة كبيرة تلسعه لإبقائه على قيد الحياة».
- **أم كلثوم** «وَمَن خَطَبَ الحَسناءَ لَم يُغلِها المَهرُ».

- **أينشتاين** «لا أعلم بأي سلاح سيحاربون في الحرب العالمية الثالثة، لكن سلاح الرابعة سيكون العصي والحجارة».
- **غاندي** «لا يمكن لحضارة العيش إذا كانت تحاول أن تكون حصرية».
- **محمد رشيد رضا** «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه».
- **سيمون دي بوفوار** «إذا كانت مسألة حقوق المرأة أمراً سخيفًا جداً، فاللوم على غطرسة الرجال التي جعلت منها موضوعاً يُناقش».
- **نزار قباني** «قلت له: يا حضرة السلطان لقد خسرت الحرب مرتين لأنك انفصلت عن قضية الإنسان».
- **برنارد شو** «لن يسود السلام العالم حتى تُستأصل الوطنية من الجنس البشري».
- **عبد الوهاب المسيري** «المثقف الذي لا يترجم فكره إلى فعل لا يستحق لقب المثقف».

- **سارتر** "ليس صحيحـاً أن هنـاك مستعمر صالـح وآخـر شـرير الصحيـح أن هنـاك مستعمر وحسـب".

وكانت أعلى الأصوات بالترتيب التنازلي كالتالي:

- ✓ سقراط
- ✓ أم كلثوم
- ✓ أينشتاين
- ✓ غاندي
- ✓ محمد رشيد رضا
- ✓ سيمون دي بوفوار
- ✓ نزار قباني
- ✓ برنارد شو
- ✓ عبد الوهاب المسيري
- ✓ سارتر

والوزراء هم:

- ✓ الدفاع: تشرشل وتشارل ديجول (مناصفة)
- ✓ الثقافة: أحمد فؤاد نجم

- ✓ الإعلام: أمانسيو أورتيغا
- ✓ المالية: وارن باف
- ✓ وزارة الفقراء: برنار أرنو

اعترض بعض أعضاء العشرة لا سيما أم كلثوم على اختيار «أحمد فؤاد نجم» وزيرًا للثقافة. فقالوا: سيد «جيف» لقد كان اقتراح أحمد فؤاد نجم منك وقلة من مجلس العشرة، بينما الغالبية رأوا أن تختار الشاعر «أحمد شوقي» أو الدكتور «طه حسين» فضربت عرض الحائط باختيارات المجلس واتيت بنجم!!! وأنت بذلك تخالف اللائحة التي لم يجف حبرها بعد.

قال «جيف»: لم أخالف اللائحة، فلنأتي بها، ثم قال: اقرأ يا سيد عبّاس نص المادة.

قرأت: «يختار رئيس مجلس الإدارة الوزراء باستشارة مجلس العشرة، والوزراء هم: الدفاع، والثقافة، والإعلام، والمالية، ووزارة للفقراء. شريطة ألا يكونوا من المرشحين للمناصب السابقة».

قالـت أم كلثـوم: أرأيـت؛ ((يختـار رئيـس مجلـس الإدارة الـوزراء باستشـارة مجلـس العشـرة))!!!

قـال ((جيـف)) مبتسـمًا: وقـد استشـرتكم يـا سـادة، ولـم أخـرم اللائحـة، لكـن الاختيـار مكفـول لـي بموجـب النـص.

تصفيـق متوسـط في القاعـة، أعقبـه دعـوة مـن أمانسـيو أورتيغـا للاحتفـال بهـذا الحـدث التاريخـي في رحلـة للقمـر!!! وهـذا في حـد ذاتـه حـدث تاريخـي سـتذكره الأجيـال القادمـة.

اليوم الرابع:

«الفقراء آلام وآمال»

كان هـذا اليـوم عبـارة عـن نـدوة يحاضـر فيهـا الفيلسـوف البريطـاني «هربـرت سبنسـر»، وكانـت النـدوة بعنـوان «الفقـراء آلام وآمـال».

كانـت آثـار الإجهـاد باديـة على وجـوه الحضـور مـن الرحلـة القمريـة التـي كانـت أمـس، وقـد تغيّـب البعـض عـن الحضـور دون أن يبـدى اعتـذارًا.

بـدأتُ بالقـول: السـادة الحضـور، أسـعد الله صباحكـم بالخيـر، سـيخلّد التاريـخ ذكراكـم بتلـك المجهـودات الضخمـة التـي تقدمونهـا للبشـرية، فأنتـم «مِلـح الأرض» وبغيابكـم تصيـر سـبخة، وإذا كنـا البارحـة علـى ظهـر القمـر في حـدث اسـتثنائي، فنحـن الآن علـى سـطح كوبنـا الأرض نحـاول جاهديـن أن نضـع معالـم وأطـر للبشـرية وفي القلـب منهـا الفقـراء.

ومحدثنا في تلك الندوة يعد واحد من مؤسسي علم الاجتماع الحديث. أحد أكبر المفكرين الإنجليز تأثيرًا في نهاية القرن التاسع عشر، ويعتبر الفيلسوف الأول -وربما الوحيد- في التاريخ الذي يبيع أكثر من مليون نسخة من أعماله خلال حياته الخاصة. وأهم مؤلفاته: أسس علم الحياة، أسس علم النفس، أسس علم الاجتماع، أسس الأخلاق، الاستاتيكا الاجتماعية، مع أرسطو القرن التاسع عشر ((هربرت سبنسر)).

وقف الفيلسوف البريطاني ((هربرت سبنسر)) وقال: السيدات والسادة، هل نتفق جميعًا على أن تقليل عدد الفقراء هدف نبيل؟ أظننا جميعًا ما جئنا إلى هنا إلا بتلك الغاية النبيلة. وإذا كانت الغاية نبيلة فإنها تبرر الوسائل مهما شابها من تجاوزات.

إننا جئنا اليوم وكل آمالنا وطموحاتنا أن نجفف منابع الفقر، وأول تلك الإجراءات المهمة تقليل عدد الفقراء.

إنني أرى أن أنسب الطرق وأقصرها وأنجعها تكمن في حقن الفقراء الذين لا يستطيعون إعالة أنفسهم بمصل يمنعهم من الإنجاب، إن هذا الصنيع يجعلنا خلال جيلين أو ثلاثة أجيال على أقصى تقدير نقضي على الفقر قضاءً مبرمًا.

- قلتُ: معذرة يا سادة، إننا بذلك نقضي على الفقراء لا على الفقر.
- لا فرق كبير يا سيد عبّاس. إننا لا نملك ترف الاختيار، إن موارد الأرض محدودة، والأعداد في تزايد، وبالتالي لا بد من التخلص من البعض لينجو الآخرين. تخيل أننا كنا في سفينة في عرض البحر، والسفينة كادت تغرق، ولا ملجأ ولا منجى إلا بأن نتخلص من بعض الأحمال، وانتهينا إلى أن نُلقى بالبعض في الماء، فهل من الحكمة أن نتوانى في هذا الأمر، أم نتخذ قرارًا بإلقاء البعض في البحر حفاظًا على البقية. وقد حدث هذا مع الرجل الصالح ونبي الله يونس الذي ألقى في البحر لكي ينجو الباقي.

- ولم الفقراء هم من يدفعون الثمن؟
- إن هذا هو الأفضل من عدة وجوه: الوجه الأول: إذا كنا بصدد اختيار بين فئتين التي تعمل أو الفئة الكسولة؛ فيتعين التضحية قطعًا بالفئة الثانية، فهذا هو "الانتخاب الطبيعي" بكل تجلياته، ومن ثم التماهي مع نظرية البقاء للأصلح -وبالمناسبة البقاء للأصلح أنا من قلتُ به وليس صديقي "دارون" كما ينسب البعض، مع كامل الاعتزاز والتقدير لصديقي دارون الذي من أجله فقط، حنثتُ بيميني بعدم دخول أي كنيسة، حيث حضرت القداس على روحه في كنيسة وستمنستر، فهل يمكننا يا سادة أن نسوي بين العقول الجبارة التي تخرجت في جامعة هارفارد وأُنفق عليها ملايين الدولارات وبين هؤلاء المشردين الذين يقطنون أسفل الكباري؟ ثانيًا: إن في هذا الخيار تحفيز للفقراء بالعمل والنشاط لكي يخرجوا من فقرهم، فالبشر تستنفر قواهم ويبذلون

أقصى ما لديهم حينما يشعرون بالخوف، وانظر إن شئت لرجل يطارده كلب عقور، ستجده يجري بأضعاف أضعاف سرعته المعتادة، وما كان ذلك ليحدث إلا بدافع الخوف. وأمر ثالث: أن هؤلاء الفقراء يستنزفون موارد الأرض دون أن يكون لهم دور في زيادة الإنتاجية.

و«لما كانت الحروب والكوارث والأوبئة تعمل بدورها على تصحيح الزيادة السكانية طوال تاريخ البشرية»، إلا أن الحروب قد قلّت في العالم منذ حوالي سبعين عامًا، باستثناء بعض المناوشات الحربية التي لا تحمل في ثناياها إبادات يمكنها أن تحدث الأثر في الحد من الزيادة، كما أن التقدم العلمي والثورة الهائلة في الأمصال المختلفة قلل من الأوبئة والأمراض، بل زاد معدّل الأعمار في العالم. ومن ثم لا بد من بديل يعيد عملية التوازن وتصحيح الزيادة السكانية.

لكننا سنتعامل معهم بإنسانية وبتدرج، حيث يتم تطعيمهم طعمًا يشل فيهم قدرة الإنجاب، «تجفيف المنابع». وإن كنا

لـن نمنعهـم مـن الاسـتمتاع الجنسـي، فنحـن نعـرف أنـه مصـدر المتعـة الرئيسـي لهـم، ونحـن لابـد أن نكـون متعاطفيـن معهـم. وعليـه؛ أرى أن نصـوغ توصيـة، تكـون تمهيـدًا للشـروع في إنتـاج مصـل لفقـراء العالـم يجفـف ينابيـع الفقـر، وليكـن اسـمه بشـكل مبدئـي «إسـعاد الفقـراء».

قـال نتشـه: «إننـي أتفـق مـع صديقـي »سبنسـر« فأينمـا وجـدت شـيئًا حيًـا، وجـدت هنـاك إرادة السـلطة. وتطبيـق إرادة القـوة مبـدأ بيولوجـي. فمثـلًا حينمـا تـرى سـمكة كبيـرة تـأكل سـمكة صغيـرة كشـكل مـن أشـكال إرادة القـوة؛ تُظهـر السـمكة الكبيـرة إتقانهـا لبيئتهـا مـن خـلال اسـتيعاب جـزء مـن البيئـة في نفسـه.

فقلـتُ: مـع احترامـي الكامـل للطـرح الـذي طرحـه السـيد «سبنسـر» وتعقيـب السـيد «نتشـه» فـإن هـذه الفلسـفة ليسـت بنـت اليـوم، لكنهـا جـاءت مـن أبعـد مـن ذلـك؛ ونحـن الآن في مسـيس الحاجـة إلـى المنهـج «الجينيالوجـي» -علـم الأنسـاب- دراسـة صلـة القرابـة والـدم بيـن الأفـكار.

بمعنى؛ أن السياسي الألماني ((أوتو فون بسمارك)) الذي يقول: ((لا محبة للخير بين الأمم، وأن القضايا الحديثة في الدول لا ينبغي أن تقررها أصوات الناخبين، ولا بلاغة الخطاب، ولكن الذي يقررها هو الدم والحديد)). هذه النزعة الدموية سبقه بها ابن موطنه الفيلسوف التشاؤمي ((شوبنهاور)) الذي يقول: ((الإرادة الكلية في الطبيعة عنايتها تنصبّ على الحفاظ على الحياة في الأنواع، ولذلك تهتم بالإبقاء على الأنواع في النبات والحشرات والحيوان والإنسان، وهي في اهتمامها بالنوع، لا تلقي بالاً إلى الأفراد الذين تطحنهم الآلام، ويعذبهم الشقاء، ويغرقون في بحار المآسي والشرور)).

وكان أسبق منهما الاقتصادي الإنجليزي ((توماس مالتوس)) الذي يرى ((أن حتمية النقص في المواد الغذائية بالنسبة لزيادة السكان. فالسكان يزيدون وفق متوالية هندسية بينما يزيد الإنتاج الزراعي وفق متوالية حسابية، وبالتي فالسكان قادرون على المضاعفة مرة كل 25 عامًا إذا لم تقم عقبات تحول دون ذلك. أما الإنتاج الزراعي فإنه

لا يستطيع مواكبة هذه الزيادة. الأمر الذي سيؤدي حتمًا إلى نقص الغذاء والسكن. والرجل الذي ليس له من يعيله والذي لا يستطيع أن يجد له عملاً في المجتمع سوف يجد أن ليس له نصيبًا من الغذاء على أرضه فهو عضو زائد في وليمة الطبيعة، حيث لا صحن له بين الصحون، فإن الطبيعة تأمره بمغادرة الزمن)).

ولقد كان والد السيد ((مالتوس)) أكثر رحمة وإنسانية؛ حيث كان يرى ((أن البؤس الذي عليه الناس إنما يرجع إلى النظم الاجتماعية الفاسدة السائدة، أما الطبيعة عنده فهي خيرة)).

والناظر -يا سادة- لتلك النزعة الدموية يلاحظ أن منشأها ورعايتها ألمانيا! وبالتالي كانت النتيجة سياسة ((هتلر)) النازية. فسياسة ((هتلر)) يا سادة كانت نتاجًا طبيعيًا لتلك الفلسفات والسياسات التي كرستموها، ولو لم يقم ((هتلر)) بما قام به، لجاء بعده مائة شخص آخر يفعل ما فعل.

كما أن دعوة «سبنسر» وتوصيته بالمصل ليست جديدة، فقد اتبع هذا النهج وأجبر أبناء بعض العرقيات المضطهدة كالسود والهنود في أمريكا على إجراء التعقيم القسري، وإن اتخذ صورة تعقيم اختياري في ظاهر الأمر. وهناك مئات الألوف في أمريكا جرى تعقيمهم قسرًا فيما بين عامي 1907: 1964.

- رد «نتشه»؛ لا يا سيد عبّاس، لا تخلط الأوراق ببعضها، إن ما فعله «هتلر» إبادة لشعوب كاملة، دون تفريق بين فقير أو غني.
- هل هذا كل ما يعنيكم فقير وغني؟ فلو افترضنا جدلًا انتصار «هتلر» في الحرب؛ ألا يعتبر ذلك دليل على ضعف المهزوم، ومن ثم انتصار القوي، وبالتالي تحقيق لمبدأ البقاء للأقوى أو للأصلح؟

تعالوا جميعًا نناقش المشكلة بعيدًا عن منطق الأنانية، ولنكن صرحاء بأن طبيعة النظام الرأسمالي الاستعماري الذي يتوجه إلى تعمّد عدم توزيع ثروة البلاد بشكلٍ عادل

بين مختلف فئات المجتمع هو الذي يخلق تفاوتًا طبقيًا من شأنه أن يجعل ثروة البلاد تحت ملكية نخب محدودة عدديًا من كبار الأثرياء والأغنياء.

قال السيد ((وارن باف))-**وزير المالية في المجلس الجديد**-: أتريد منا يا سيد عبّاس أن نقسم أموالنا التي سلخنا في سبيلها شبابنا وأعمارنا بين العالة والمقعدين؟! إن حكماء أسبرطة الذين سبقونا بآلاف السنين كانوا أكثر منا حكمة.

صارت همهمات في القاعة، بأن هذا غير إنساني، وإننا بذلك نتبع قانون الغاب. وأن السيد ((سبنسر)) معروف بعلاقاته مع كبار الملاك من قبل، ويأتي الآن ويكرسها مع هؤلاء الرأسماليين الجدد، ثم إن القضاء على الفقراء لا يعني بالضرورة القضاء على الفقر، فالرأسمالية المتوحشة ستوجد طبقة أخرى فقيرة، إذ إنها لا يمكنها النماء والكسب في ظل مجتمعات كلها وفرة، وبالتالي ستخلّق طبقة فقيرة جديدة.

فقطع السيد ((جيف بيزوس)) رئيس مجلس إدارة الكوكب تلك الأصوات بالقول: ((لنكن ديمقراطيين يا سادة، لنكن

ديمقراطيين)) من يوافق على ما طرحه السيد ((سبنسر)) يتقدم برفع يده، فرفع جُل الحضور أيديهم، وكان أبرز هؤلاء ((هتلر، ونتشه، وداروين))، ثم قال: من يعترض على هذا الطرح يتفضل برفع يده، فقام مجموعة قليلة برفع يدها، من أبرزهم د. ((عبد الوهاب المسيري، والأستاذ العقاد، ونجم)). والغريب والمستغرب أن هناك من الحضور من لم يرفع يده، مذبذبين بين ذلك، لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء. وكما يقول المثل العربي ((عش رجبًا ترى عجبًا)).

لكن المعترضين على هذا الأمر وتلك التوصية أصروا على أن يضمّن اعتراضهم في محضر الجلسة بذكر أسمائهم.

وانتهت الجلسة وفي النفوس ما فيها بين الحضور، فقد سقط تمامًا شعار السيد ((محمد رشيد رضا)) الذي رفعناه في البداية، وحل محله بشكل ضمني الأثر المعروف ((عُض قلبي ولا تعض رغيفي)).

اليوم الخامس:

انطلقنا في هذا اليوم مع شروق الشمس، حيث تناولنا الإفطار على اليخت الكبير، وبدأنا في رحلة الصيد، لكن سرعان ما أصيب البعض بدوار وإعياء شديدين، كما أن البعض الأخر -لاسيما من العرب- كان المِزاج العام عكرًا، الأمر الذي أضررنا على إثره إلى العودة، واكتفينا بعرض مسرحي في المساء على المسرح العائم، ثم خلدنا للنوم.

اليوم السادس: التوصيات:

كان اليوم السادس بدايته من عند "جيف بيزوس" رئيس مجلس إدارة الكون قائلًا: الحضور الكرام عظماء الكرة الأرضية على مر التاريخ، ستشكر لكم الأجيال لا سيما الفقراء منهم تجشمكم وعثاء السفر، وقدح الذهن، حتى تحققوا لهم ما يأملون فيه، وأنا بالأصالة عن نفسي، وبالنيابة عن زملائي أعضاء المجلس الموقر أشكر لكم جميل ثقتكم، واعدًا بأن أبذل قصارى جهدي على خدمة الفقراء في أرجاء المعمورة، وفي هذا السياق أعلن الآن إنشاء صندوق لدعم الفقراء، وقد تبرعت فيه بمبلغ خمسين مليون دولار يتم إنفاقها على تنمية البشرية.

تصفيق في بعض أرجاء القاعة، وابتسامات سخرية من بعض الحضور.

وأعلن لحضراتكم ما يلي:

- ✓ وجود وزارة باسم "وزارة الفقراء" يعتبر نقلة نوعية ستشكرنا الأجيال القادمة عليها. وتتولى هذه الوزارة التواصل المباشر مع فقراء الأرض جميعًا دون أي تمييز حسب اللون أو الجنس أو العرق.
- ✓ تتولى وزارة الفقراء بالتعاون مع مراكز البحوث بتصنيع أمصال لفقراء العالم تسمى ب "إسعاد الفقراء"؛ على أن يتم الصرف عليها من ميزانية صندوق دعم الفقراء.
- ✓ تقوم وزارة الفقراء ووزارة المالية بالتنسيق بينهما بتشكيل لجنة رئيسية تنبثق منها لجان فرعية لدراسة آلام الفقراء وآمالهم. ويتم الصرف على أنشطة تلك اللجان من صندوق دعم الفقراء.
- ✓ يتولى وزير الإعلام من خلال فريقه ومستشاريه التسويق لهذا المجلس الموقر وأهدافه، وتمول أنشطته من خلال صندوق دعم الفقراء.

- ✓ يتولى السيد وزير الثقافة باتخاذ الإجراءات التي يراها مناسبة لتجفيف منابع الفقر من خلال الأنشطة الفنية والثقافية، بعد التشاور مع فريقه ومستشاريه وعرضها على مجلس العشرة.
- ✓ تتولى وزارة الدفاع التي يقودها مناصفة السيدان: «ونستون تشرشل»، و«تشارل ديجول» بالدفاع عن المجلس وكياناته من أي دول أو كيانات معادية لمصالح الفقراء.
- ✓ يعقد مؤتمرنا الدوري كل ثلاث سنوات، على أن يدعى له ويهيئ له قبلها بعام. وتتولى مسؤولية التنظيم وزارتي: الثقافة، والإعلام بالتنسيق بينهما، على أن يتم الصرف من صندوق دعم الفقراء.

ثم أعقب الجلسة تقديم هدايا تذكارية من قبل الملياردير «برنار أرنو».

كانت الهدايا عبارة عن سيارة فيراري بورتوفينو، تذكرت الأن أنهم أرسلوا لنا قبل المؤتمر بشهر يسألون في

بطاقة الدعوة عن لون السيارة المفضل، كنت أعتقد وقتها أنهم يرتبون للسيارات التي تقلنا، لكنني فوجئت كما بقية الحضور بسيارة باللون المفضل لكل شخص، ومعها ميدالية ذهبية باسم الشخص صاحب السيارة.

كانت مفاجأة مذهلة وأنتِ ترين سبعين سيارة تقريبًا في سبعة صفوف.

سألتْ رجاء: وانت اخترت لون إيه يا عباس؟ أكيد أبيض؟

نعم نعم، وجدت سيارة فيراري بورتوفينو بيضاء، قال لي صديقي هيكل أن ثمنها لا يقل عن مليون دولار!!

لكن الأستاذ العقاد وبعض الحضور العرب رفض أن يأخذ سيارته، والبعض وقف مترددًا، فرفضت أنا الآخر تسلم السيارة.

بدأت مراسم الجلسة بعزف موسيقي يقوده «لودفيج فان بيتهوفن»، ثم بدأ الحضور بترديد نشيد الإنسانية:

هبطتُ الأرض عريانًا

وأنت هبطتَ عريانا

فما مُلّكت من دوني

بها حقلًا وبستانا

ولم أُولد بمتربتي

وتولد أنت ملآنا

فقد سميتُ إنسانًا

كما سميتَ إنسانا

خُلقنا لم تكن ملكًا

ولا أنا كنت شيطانا

فقد سميتُ إنسانًا

كما سميتَ إنسانا

سأل وزير الإعلام «أمانسيو أورتيغا» مَن مؤلف هذا النشيد العظيم؟

لـم يكـن وزيـر الثقافـة «أحمـد فـؤاد نجـم» يعرفـه. لكنـه سـأل، وتوصـل إلـى أنـه شـاعر مصـري اشـتراكي يدعـى «علـي حمـد».

فقـرر وزيـر الإعـلام بتكريـم هـذا الشـاعر بإرسـال سـيارة فيـراري بورتوفينـو علـى عنوانـه في مصـر، لأنـه لـم يكـن مـن الحضـور.

اليوم السابع يوم الوداع:

غادر الحضور كل حسب ظروفه ووفق ما يريد، منهم من سافر باكرًا، والبعض مع الظهيرة، لكنني فضّلت السفر في المساء. اتصل بي المليارديرِ ((برنار أرنو)) الذي قام بتوزيع السيارات التذكارية، وطلب مني أن أشرب معه القهوة، نزلت على الموعد بعدما جهزت حقائبي، سألني السيد ((برنارد)) عن السبب الذي منعني من قبول السيارة، فأجبت أن قيمي ومبادئ لا تقبل ذلك، فقال: أنا معجب بك كثيرًا مستر عبّاس، وليتك تقبل العمل مستشارًا معي.

وقدم لي عرضًا براتب شهري مكون من ستة أرقام بالدولار.

- سألتْ رجاء: يعني بكام جنيه يا عبّاس؟
- تقريبًا يشتري العمارة دي بكل شققها في شهر يا رجاء.

- بسم الله ما شاء الله، طيب يا أخويا متفسرش، ما يحسد المال إلا صاحبه. ((ومن شر حاسد إذا حسد)). لازم تشتريلي بقي العقد اللي شفناه في ((ألمظ)).
- العقد بس يا أم مازن؟! العقد، وعربية مرسيدس، وشقة في ((دريم لاند)) لا لا، شقة إيه؟ فيلا، فيلا في ((دريم لاند)) و.. ...
- ليه التبذير ده يا أبو مازن؟ لازم نلم نفسنا يا حبيبي. محدش عارف بكرة فيه إيه، والمثل بيقول: ((القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود)).
- يا أم مازن، خلينا نعيش لنا يومين.
- ربنا ما يحرمنا منك يا عبوسي يا رب. وبعدين يا عبّاس، حصل إيه؟
- لم يحدث شيء يا رجاء، لقيتك يتقولي اصح يا عباس تأخرت على الندوة.
- الندوة الشهرية اللي بيقدموا لكم فيها القهوة محر و قة ؟

- نعم، نعم.
- يا خسارة الكافيار!!! طيب قوم يا حبيبي على ما تلبس أكون جهزت لك القهوة.
- لا، لا، أنا تأخرت، لازم أنزل بسرعة.
- طيب أنا أرسلت لك على الواتساب حاجات محتاجنها تجبها معاك.
- طيب طيب.
- وكمان نسيت أكتبلك السكر، والليمون، ومناديل مطبخ، وبخور، وشكولاتة مازن، وألوان سحر. وكمان يا ريت يا عبوسي تشتري معاك طاقية، لأن راسك وأنت نايم بتكون عريانة خالص يا حبيبي. ها. ها. ها.
- لزجة لزجة.

تمت

أنتظركم: عزيزي القارئ، القارئة الكريمة.

Z_haiba@yahoo. com

facebook. comأ. د. زكريا هيبة

Twitterأ. د. كريا محمد هيبة

00966590396809

زكريا هيبة

كتب للمؤلف

- التربية اليابانية: البذور والجذور والثمار ثم الخريف، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2016.
- هيلين كيلر وآن سوليفان: عمياء بكماء صماء تحصل على الدكتوراه، إرادة المتعلم وعطاء المعلم، الرياض: دار مدارك للنشر والتوزيع، 2018.
- رسالة إلى الآباء في حقوق الأبناء، كفر الشيخ: دار ابن عمر للنشر والتوزيع، 2005.
- عظماء أمهاتهم أعظم، الرياض: دار مدارك للنشر والتوزيع، 2018.
- كيف تبني وجدان طفلك، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2018.
- قيادة التغيير في المنظمات وبانوراما التغيير المنظمي، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2019.
- إدارة التميز: الأسس، المداخل، النماذج، جدة: دار سيبويه للنشر والتوزيع، 2019.

- أضغـاث أفـكار: أفـكار رشـيقة وأخـرى ثمينـة، جـدة: تكويـن للنشـر والتوزيـع، 2020.
- القيـادة الموزعـة وعلاقتهـا بصنـع القـرار للقـادة الأكاديميين: نحـو قيـادة ناجعـة للمؤسسـات التعليميـة، بيـروت: الـدار العربيـة للعلـوم ناشـرون، 2020.
- اكتشـاف العزلـة: متعـة الحـوار الصامـت، جـدة: تكويـن للنشـر والتوزيـع، 2020.
- التعليـم المعكـوس: نحـو صفـوف دراسـية فاعلـة، جـدة: تكويـن للنشـر والتوزيـع، 2020.
- الرسـول الأعظـم: محمـد ﷺ كمـا لـم تعرفـه، جـدة: تكويـن للنشـر والتوزيـع، 2021.
- آيـل للسـقوط: رمـم ذاتـك، جـدة: تكويـن للنشـر والتوزيـع، 2021.
- تسـامى واجعـل ظلـك عاليًـا، جـدة: تكويـن للنشـر والتوزيـع، 2021.
- كـن حكيمًـا ولا تجلـس علـى عـرش النمـل، جـدة: تكويـن للنشـر والتوزيـع، 2021.

- ثقافة القنفذ: الطريق إلى مجالك الحيوي، جدة: تكوين للنشر والتوزيع، 2021.
- أشاطركم الأشواق: حديث من القلب، جدة: تكوين للنشر والتوزيع، 2021.
- عظماء في قاعات الدراسة، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2021.
- سنابل: من كان يريد حرث الآخرة، جدة: تكوين للنشر والتوزيع، 2022.
- زغزغات: شيء من البهجة، جدة: تكوين للنشر والتوزيع، 2022.